الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة طاهري محمد بشار

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

مطبوعة بيداغوجية موجهة لسنة الثانية ليسانس تاريخ عام

تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

الأستاذة : بوعنيني سهام

السنة الدراسية : 2021/2020 م

مقدمة:

يعتبر تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصور الوسطى من المواضيع الهامة التي لا يمكن لدارس التاريخ أن يستغني عنها، فكنا دائما و لا زلنا نتساءل كيف دخل الإسلام لبلاد المغرب و الأندلس؟ و متى كان دخوله؟ و من قام بفتح هذين القطرين؟ كما نتساءل عن أهم الدول التي ظهرت ببلاد المغرب و الأندلس بعد الفتح و عصر الولاة؟

و أحاول من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية الموجهة لطلبة السنة ثانية ليسانس تاريخ، لملمة هذا الموضوع الذي لديه حيز جغرافي كبير، فبلاد المغرب تمتد من الحدود المصرية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى[2] الصحراء الكبرى جنوبا بالإضافة إلى جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية و الجزائر الشرقية (ميورقة، منورقة، يابسة) و بلاد الأندلس، و يدرس هذا الموضوع في مدة زمنية طويلة تمتد لحوالي ثمانية قرون من سنة 22 هـ/ 643م و هو تاريخ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى سنة 989 هـ/1492م و هو تاريخ سقوط غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس بيد ملكي قشتالة و اراغون فرديناند و إيزابيلا.

و تشمل هذه المدة من الدراسة مواضيع كثيرة و هي الفتح الإسلامي في المغرب و الأندلس، عصر الولاة في المغرب و الأندلس، الدول المستقلة عن المشرق و المتمثلة في الدولة المدارية، و الرستمية و الإدريسية، كما ندرس دولة الأغالبة التي كانت موالية للخلافة العباسية في المشرق، ثم الدولة العبيدية (الفاطمية) التي وحدت كامل بلاد المغرب الإسلامي، و الدولة الأموية في الأندلس، و دويلات الطوائف في الأندلس، ثم ندرس الدولة الزيرية في المغرب الإسلامي، و الدولة الحمادية في المغرب الأوسط، و الدولة المرابطية في المغرب و الأندلس، ثم الدولة الموحدية في المغرب و الأندلس و التي وحدت هي الأخرى كامل بلاد المغرب الإسلامي، و تشمل الدراسة أيضا الدول الثلاث التي ظهرت في المغرب بعد الموحدين و هي الدولة الحفصية، و الزيانية، و المرينية و نختم الدراسة بدولة بني نصر (بني

الأحمر) في الأندلس. و خلال دراسة هذه الدول نتحدث عن جميع الجوانب السياسية و الإدارية و العسكرية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية.

و من المؤكد أن موضوع تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي و الأندلس لا يدرس بمعزل عن باقي أصقاع الأرض مثل دول و ممالك أوروبا و خاصة بلاد المشرق الإسلامي التي تربطه بالمغرب و الأندلس علاقة وطيدة و علاقة تأثير و تأثر كبيرين في مختلف الميادين السياسية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية.

أما المنهجية التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التاريخي للأحداث، و كانت عملية السرد اعتمادا على المصادر و هو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، و تخلل هذا السرد منهج التحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق و الجوانب الخفية، و كثفت من الاستشهاد بالنصوص في المتن و الهامش إما دعما لرأي أو مساندة لاستنتاج و من أجل تبسيط المعلومات و ترسيخ الحقائق.

و في الأخير أتمنى أن تفيد هذه المحاضرات الطلبة في الإطلاع على تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي و الأندلس، و أن تنال رضاهم.

عنوان المحاضرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

جغرافية بلاد المغرب:

أطلقت كلمة ليبيا في التاريخ القديم على شمال إفريقيا بستثناء مصر، أي المنطقة الممتدة غرب هذه الأخيرة حتى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وكان المؤرخ الإغريقي هيرودوت هو من أطلق هذا كما سمى أهلها باسم الليبيين تمييزا لهم عمن جاورهم وراء خط الرمال، و في الفترة التي سيطر عليها الفينيقيون على هذه البلاد أطلقوا عليها كلمة أفري و عندما جاء الرومان أطلقوا اسم افريقيا على إقليم تونس وحده ثم عمموه بعد ذلك على القارة

كلها . كما أطلق الرومان اسم نوميديا على الجزائر حاليا و ما يليها غربا أطلقوا عليه اسم موريطانيا و هو يشمل المغرب الأقصى و موريطانيا حاليا. و عندما بدأ المسلمون فتوحاتهم في شمال افريقيا خالفوا التسميات السابقة و أطلقوا على البلاد كلها لفظ المغرب للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، ثم نعتوا كل إقليم باسم يرجع إلى بعده او قربه عن المشرق، فأطلقوا على إقليم تونس اسم المغرب الأدنى لدنوه من الشرق، و سموا إقليم مراكش المغرب الأقصى لبعده عن المشرق، و أطلقوا على إقليم الجزائر اسم المغرب الأوسط لوقوعه بينهما و توسط بعده عن المشرق الإسلامي. و لشدة ارتباط هذه الأقاليم الثلاثة ببعضها لم تكن هذه الحدود و الفواصل طبيعية و لا هي قارة بل دوما في مد و جزر حسب قوة حكومة كل إقليم أو ضعفها[1].

العناصر السكانية لبلاد المغرب قبل الفتح:

ضم المجتمع المغربي مع بداية الفتوحات الإسلامية ثلاثة عناصر رئيسية هي البربر سواء البتر أو البرانس، و البيزنطيون و هم على الديانة المسيحية، و الأفارقة[2].

و قد أطلق الرومان ثم المؤرخين المسلمين بعدهم تسمية البربر على سكان شمال افريقيا، و هي كلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التنظيم الاجتماعي و لا تعني أبدا معنى الهمجية أو الوحشية، و التسمية الصحيحة لهم و التي سمو بها أنفسهم هي الأمازيغ، أما الأفارقة الذين كانوا أقلية كانت بأيديهم التجارة و شؤون المال و الوظائف المهمة و الكبيرة كان ولائهم غالبا لمن يسيطر على المنطقة و لبثو حينا من الدهر على ولاءهم للبيزنطيين و عنهم أخذوا المسيحية و مظاهر الحضارة الرومانية، و قد دان بعض هؤلاء بالإسلام فيما بعد و تقلد بعضهم مسؤوليات إدارية و سياسية. و بالنسبة للتوزيع الجغرافي لهذه القبائل عشية الفتوحات الإسلامية فقد تمركزت القبائل البربرية في المناطق الداخلية لبلاد المغرب بينما سيطر البيزنطيون على السواحل، و لما قدم المسلمون اصطدم الفاتحين بالبربر و البيزنطيين

---

[1]- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ/1998م، ط1، ص 248 و ما بعدها، محمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب و الأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص 5-6، يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة و الوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ج1، ص 13 و ما بعدها.

[2] بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني 633-962 هـ/ 1235-1555 م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، 2002م، ص 138.

معا، و كانت شدة البيزنطيين على المسلمين أكثر من البربر، و قد دخلت أعداد كثيرة منهم في الإسلام تباعا[1].

مراحل الفتح:

يمكن تقسيم مراحل فتح بلاد المغرب إلى ثلاث مراحل و هي:

1- مرحلة الاستكشاف و محاولة الفتح (50-22 ه/643-650 م)
2- مرحلة الاستقرار و بناء القيروان (55-50 ه/650-675 م)
3- مرحلة التوغل و استكمال الفتح (92-55 ه/675-711 م)

فتوحات عمرو بن العاص:

أسباب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

هناك عدة أسباب عديدة أهمها:

- تأمين الحدود الغربية للدولة الإسلامية الحديثة، حيث دعت الضرورة الحربية والي مصر الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى التوجه بنظره إلى الحدود الغربية لمصرا تحديدا لإقليم برقة لتأمين قاعدة المسلمين الجديدة بمصر الفسطاط من هجمات البيزنطيين[2].
- القضاء على أطماع البيزنطيين في استرجاع مصر من أيدي المسلمين، و هذا باستعمال بلاد المغرب منطلقا لهجماتهم[3].
- رغبة الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص في موصلة الفتح الإسلامي لنشر الدين الإسلامي في بلاد المغرب، و لم يكن إصرار عمرو بن العاص على مواصلة الفتح التماسا للغنائم التي تعود عليه و على جنده من الفتح كما يردد و يزعم المستشرقون و من يرى رأيهم من المؤرخين[4].

لما فتح عمرو بن العاص مصر سنة 20 هـ /641 م و اتخذ من الفسطاط قاعدة لجيوشه، أرسل البعوث و السرايا و الطلائع لاستكشاف بلاد المغرب، و التعرف على

---

[1] موسى لقبال: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ط1، ص 16، بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 138
[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 18.
[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ط4، ج1، ص 121-122.
[4] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 8.

سكانها فأرسل أول بعثة بقيادة عقبة بن نافع الفهري[1] الذي رجع إليه بأخبار مشجعة عن المنطقة و سكانها من قبيلة لواتة البربرية، فاتجه عمرو بن العاص بنفسه على رأس جيش ففتح مدينة برقة صلحا على أساس قبول أهلها اللواتيين دفع جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار[2]، كما فتح عقبة بن نافع أيضا مدينة زويلة صلحا و كان هذا سنة 22 ه/ 643 م، ثم واصل عمرو الفتح بالقرب من الساحل حيث مواطن قبائل هوارة و نفوسة و فزان و زواغة في سرت، و طرابلس و صبراتة و أحرز فيها النجاح[3].

و عزم عمرو بن العاص على مواصلة الفتح عندما تكتمل عدته و يكثر جنوده، و يستطلع أيضا رأي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكتب إليه يستأذنه في التقدم غلى افريقية حيث قال " إن الله قد فتح علينا طرابلس و ليس بينها و بين افريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها و يفتحها الله على يديه فعل"، فكتب إليه الخليفة ينهاه عن مواصلة الفتح و قال له " ما هي بافريقية و لكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت"[4].

و عن سبب رفض الخليفة عمر مواصلة الفتح يرجع إلى رغبته في التريث حتى تستقر الأمور و لأن ظروف الدولة الإسلامية الناشئة لا تسمح بفتح جبهات كثيرة للقتال مع العدو لقلة جيوش المسلمين آنذاك، و لاتساع مساحة بلاد المغرب، و طبيعة بلاد المغرب الجغرافية الصعبة، و طبيعة أهلها الذين يرفضون كل أنواع الاستعباد، بالإضافة إلى محاولة الروم في مصر نقض العهد مع المسلمين[5].

و رغم أن نشاط عمرو في المنطقة لم يشتمل على معارك حاسمة، و لا على سياسة تهدف إلى الاستقرار الفعلي في بلاد المغرب، إلا أنه لم يغير الشيء الكثير من عقائد السكان،

---

[1] هو ابن خالة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ولد في أوائل الهجرة فاعتبر لذلك صحابي المولد، تولى إمارة جيش المسلمين في المغرب مرتين، المرة الأولى 50-55 هـ / 670-375 م، و المرة الثانية 62-64 هـ /682-684 م. (أنظر: الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، تقديم و تحقيق و تعليق، محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر و التوزيع، القاهرة، 1994م، ط1، ص 41. هامش 1: مجهول: مفاخر البربر، دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2005م، ط1، ص 83-84.)

[2] يذكر ابن عبد الحكيم أن عمروا بن العاص خير أهل الواتة بأن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم للفاتحين لقاء سداد الجزية المفروضة عليهم. أنظر: فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة و النشر، مصر، د ت، ج 1، ص 229.

[3] ابن عبد الحكيم: فتوح مصر و المغرب، ج1ن ص 230-231ن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ط1، مج2، ص 428-429.

[4] ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 232. ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3، ج1م، ص 8.

[5] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 84.

و لا من ولاء أغلبهم إلا أنه قبل عودته إلى مصر ترك عقبة بن نافع في برقة داعيا و مرشدا إلى الإسلام، و متخذا من برقة قاعدة موالية للمسلمين[1].

فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

في عهد ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري على مصر عام 25 ه/646 م[2] استأذن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أن يزحف على ما وراء البلاد الليبية في اتجاه افريقية فأذن له، فارسل أبي سرح الكثير من الطلائع، بلغ تعداد بعضها عشرة آلاف جندي و لكنها لم تقدر على التوغل في افريقية لكثرة أهلها، و قد تبين للمسلمين من هذه الطلائع معلومات توضح أن هذا الأمر في حاجة إلى استعداد أكثر[3].

و في سنة 27 هـ /648 م بعث الخليفة بن عفان (رضي الله عنه) بجيش كبير من المدينة لفتح بلاد المغرب و قاده من المدينة إلى مصر الحارث بن الحكم و فيه كثير من الصحابة، فتولى قيادة الجيش والي مصر ابن أبي سرح و اتجه به ناحية المغرب الأدنى و انضم إليه جيش عقبة بن نافع الذي كان معسكرا في برقة فاتجهت الجموع التي بلغت حوالي عشرون ألف مقاتل كلها لمحاربة الروم البيزنطيين[4].

و قد تحاشى ابن أبي سرح في حملته هذه الهجوم على مدينة طرابلس التي نقضت العهد مع المسلمين و تحصن أهلها بها، فاتجه إلى مدينة عقوبة و عسكر بها و هي بالقرب من عاصمة جرجير، سبيطلة و هذا للقضاء على ملكهم في افريقية، فخيره ابن أبي سرح بين قبول الإسلام أو الجزية و عندما رفض المقترحين التحم المسلمون في معركة حامية الوطيس مع الروم البيزنطيين فنالوا منهم و قتلوا قائدهم جرجير، حيث قتله الصاحبي الجليل عبد الله بن الزبير، و قتلوا الكثير من جيشه الذي بلغ نحو مئة و عشرون ألف، كما منعوا فلوله من دخول عاصمتهم سبيطلة التي استولى عليها المسلمون[5].

فاضطر من بقي من الجيش البيزنطي عندما رأوا استبسال المسلمين في القتال إلى طلب الموادعة و المسالمة، و اقترحوا على ابن أبي سرح دفع جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة

---

[1] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 14.

[2] المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ط2، ج1، ص 14.

[3] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 15.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 8-9، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص 236.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 9 و ما بعدها.

قنطار من الذهب[1] فقبل ابن أبي سرح الصلح و انسحب إلى الفسطاط، بعد أن قضى في هذه الحملة التي كسب فيها المسلمون غنائم و أموال كثيرة أربعة عشر شهرا[2]، و وصل مصر سنة 28 هـ / 649م[3].

و بذلك تقلص نفوذ البيزنطيين إلى الأطراف الشمالية حيث توجد مدينة قرطاجنة، رغم أن ابن أبي سرح لم يترك واليا مسلما أو حامية إسلامية أو يبني قاعدة إسلامية ينطلق منها المسلمون للفتح و اكتفى باشتراطه على الروم أن تبقى المناطق التي استولى عليها المسلمون قبل الصلح بأيديهم.

فتوحات معاوية بن حديج الكندي:

أسند الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) أمر مواصلة الفتوح في بلاد المغرب إلى معاوية بن حديج الكندي سنة 40 هـ/660 م[4]، فغزا افريقية سنة 43 هـ /663م و تمكن من فتح بعض المدن و غنم غنائم عظيمة[5]، ثم نظم غزوة أخرى سنة 45 هـ/665 م حيث زوده الخليفة معاوية بجيش مكون من عشرة آلاف جندي فيه الكثير من الصحابة و التابعين[6]، و قد ساعدت مجموعة من الظروف على مواصلة الفتح منها سخط أهالي افريقية من الضرائب الإضافية التي كانت تفرض عليهم من قبل الحاكم الجديد الذي ولاه هرقل على افريقية، و كذلك ظهور صراع بين هذا الأخير و حاكم افريقية السابق الذي عينه أهلها بعد مقتل جرجير، و الذي التجأ إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان لينجده ضد خصمه[7]، فاغتنم قائد المغرب ابن خديج الفرصة و نزل بجيش في قمونية التي اتخذها معسكرا للفتح، ثم بعث إلى جلولاء عبد الملك بن مروان في ألف فارس ففتحها و غنموا ما فيها[8]، و تصدى جيش المسلمين و ألحقوا الهزيمة بالجيش الذي بعثه صاحب القسطنطينية في البحر المكون من ثلاثين ألف مقاتل قرب قصر الأجم بافريقية[9].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 12، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 236.
[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 27.
[3] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 22. (و قد عرفت هذه المعركة بمعركة سبيطلة أو معركة العبادلة – حملة العبادلة) لمشاركة الكثير من الصحابة الذين تبدأ أسمائهم باسم عبد الله مثل عبد الله بن أبي سرح قائد المعركة و عبد الله بن الزبير بن العوام و عبد الله بن عمرو بن العاص و غيرهم)
[4] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 28.
[5] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 260.
[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 16.
[7] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 23-24.
[8] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 260-261، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 16.
[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 236، محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 25.

ثم تمكن جيش المسلمين من فتح مدينة سوسة و بنزرت، و غنم غنائم كثيرة و عاد إلى قمونية و عسكر بها[1]، و بذلك بدأت تظهر جليا فكرة اتخاذ المسلمين لقاعدة ارتكاز تنطلق منها جيوشهم للفتح، و قد تولى تنفيذ الفكرة فيما بعد الفاتح عقبة بن نافع[2].

فتوحات عقبة بن نافع الفهري (الولاية الأولى) 55-50 هـ / 670-675 م

لاشك أن اختيار عقبة بن نافع لقيادة الفتح كان موفقا على اعتبار أنه رجل شارك في الفتوحات منذ بداياتها الأولى كما تولى أمر برقة منذ فتحها المسلمون و كان خير داعية للإسلام، فقد عرفته هذه الأرض منذ أكثر من ربع قرن مجاهدا و مرابطا و داعية[3].

و على عكس غيره من قادة الفتح فقد سلك عقبة في فتوحاته طريق الصحراء و تجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب قادة الفتح، و أصبح لشهرته يعرف بالطريق الأعظم عند ابن عبد الحكم و الجادة عند البكري، فأذعنت لدعوته قبائل لواتة و مزاتة، و استولى على مدينة غدامس و قفصة و توزر من بلاد الجريد[4].

و من أهم أعماله بناء مدينة القيروان سنة 50 هـ / 670 م[5] لتدعيم حركة الفتح و لاستقرار الجند في قاعدة تنطلق منها العمليات العسكرية، و بدأ في بنائها سنة خمسون للهجرة[6]، و قد بنيت في موضع بين الساحل و الداخل لكي يأمن من خطر البيزنطيين في الساحل، و يتقي تحركات القبائل البربرية التي لم تسلم بعد في المناطق الداخلية[7].

و قد بين عقبة لأصحابه أهمية و ضرورة بناء مدينة القيروان كي يتخذها المسلمون قاعدة لهم في قوله " إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوه للإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"[8].

فتوحات أبو المهاجر دينار:

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 30.
[2] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 25.
[3] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 26.
[4] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 29.
[5] مدينة عظيمة بافريقية، و هي أجل مدينة بأرض المغرب جمعت بين طيب الهواء و عذوبة الماء و جميع المحاسن، اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هـ /670 م و كان فيها من العلماء و الفقهاء ما كان في البصرة بالعراق. (أنظر: ابن خرداذبة: المسالك و الممالك، تحقيق محمد محزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ص 81. الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت، ص 109 و ما بعدها، الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله و علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح و تعليق ابراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1968م، ط1، ج1، ص 6 و ما بعدها)
[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 3، ص 320.
[7] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 30.
[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 19.

عندما أوشك عقبة بن نافع على الانتهاء من تأسيس القيروان لكي يواصل الفتح و يزيل سلطان الروم من شمال بلاد المغرب، ثم يسير في نشر الإسلام بين البربر حسب خطته[1]، فوجئ بعزله سنة 55 هـ /675 م[2]، حيث عزله والي مصر و المغرب الصحابي الجليل مسلمة بن مخلد الأنصاري، و عين مولاه أبو المهاجر دينار[3] واليا جديدا على بلاد المغرب[4].

و قد أساء أبو المهاجر عزل عقبة حيث قام بسجنه و بالغ في إيذائه معنويا حسب ما يذكر ابن عبد الحكم و ابن عذارى[5]، و هجر مدينة القيروان و أخلاها من سكانها، و بنا مدينة جديدة تبعد عنها بميلين وردت بأسماء مختلفة تاكيروا، تاكرونة، تكرور، دكرور و غيرها[6]، و قد شيدها وسط بلاد البربر يقال في جبل وسلات مكسن قبيلة مزاتة البربرية، و بالتعاون مع البربر عمر مبانيها و جد في تشييدها[7].

كما جاء هذا الوالي بسياسة جديدة، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، و صالح زعيم قبيلة أوربة البرنسية كسيلة بن لمزم، و أحسن إليه و أقنعه بالدخول في الإسلام، مع جموع كثيرة من البربر[8]، فسهل له بذلك مواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى و الدخول إلى أرض المغرب الأوسط.

و يعتبر أبو المهاجر دينار أول والي لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب الأوسط[9]، فبعد بناءه لمدينته الجديدة تاكيروان في حدود سنة 55 هـ/675م و التي اتخذها عاصمة جديدة لبلاد المغرب بدلا عن قيروان عقبة[10]، و استمالته للبربر ضد الروم البيزنطيين[11]، انطلقت جيوشه منها صوب المغرب الأوسط لمحاولة فتحه.

---

[1] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 29.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 21

[3] من التابعين، ولاه مولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري إمارة جيش المسلمين بالمغرب، و قد بقي بها مدة سبع سنوات من سنة 55 ه إلى 62 هـ / 675-682 م، استشهد في معركة ضد الروم، رفقة عقبة بن نافع في منطقة تهودة سنة 62 هـ /682م. (أنظر المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 31 و ما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، ص 450 و ما بعدها)

[4] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 31. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

[5] فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 265-266. البيان المغرب، ج1، ص 22.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 22ن المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 31-32ن موسى لقبال، المرجع السابق، ص 35-36.

[7] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 36.

[8] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 46. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

[9] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008م، ص 130.

[10] يذكر ابن عبد الحكم و ابن عذارى أن أبا المهاجر كره أن ينزل بمدينة عقبة القيروان، فاختط مدينة جديدة بدلا منها و استقر بها. (أنظر، فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 266. البيان المغرب، ج1، ص 22).

[11] استطاع أبو المهاجر تحطيم الحلف الذي كان بين الروم و قبيلة أوربة البربرية، بفضل معاملته الحسنة للبربر و زعيمهم كسيلة بن لمزم، فدخلت أعداد كثيرة من بربر المغرب الأوسط في الإسلام و انضمت إلى جيش الفتح. (أنظر: السلاوي،

و تذكر المصادر التاريخية حملته على المغرب الأوسط باختصار شديد[1]، حيث يذكر كل من المالكي و الدباغ بأنه خرج بجيوشه ناحية المغرب الأوسط و فتح كل ما مر به، حتى انتهى إلى العيون التي تسمى اليوم عيون أبي المهاجر نحو مدينة تلمسان[2].

و المؤكد أن جيش أبا المهاجر خلال حملته هذه، مر بالمناطق الداخلية للمغرب الأوسط، و لم يكن مروره من جهة الساحل لأن الروم كانوا يملكون سواحل بلاد المغرب، فيجب على أبا المهاجر أن يقوم بتجنب الدخول في مواجهة البربر و الروم معا.

و قد مر على مدينة بسكرة و نواحيها، و حارب بعض الولاة و رؤساء القبائل في جهات قسنطينة و انتصر عليهم و ذلك عام 59 هـ/679م، و اتخذ مدينة ميلة مركزا لعملياته الحربية[3] و ابتنى بها دار الإمارة و جعلها ملاصقة للجامع، و مكث بها سنتين[4]، ثم عاد إلى المغرب الأدنى سنة 61 هـ/680م و استقر بعاصمته الجديدة تاكيروان عاما واحدا حتى عزل[5].

و نشير إلى ان أبا المهاجر توغل في بلاد المغرب الأوسط و وصل حتى تلمسان إلى أن فتح هذه البلاد لم يكن فتحا مؤزرا و حقيقيا رغم مكوثه حوالي عامين بمدينة ميلة، لأن جيوشه عادت إلى المغرب الأدنى و لم تستقر في المغرب الأوسط لتدعيم عملية الفتح لدى قبائل البربر جميعا.

فتوحات عقبة بن نافع (الولاية الثانية) 64-62 هـ /682-684 م:

عندما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين، و استتب له الأمر باستمرار أوضاع الخلافة الأموية بالمشرق و لو نسبيا، فكر في بعث الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب من جديد فقام بعزل أبي المهاجر دينار و إعادة عقبة بن نافع لولاية المغرب و هذا في سنة 62 هـ/682م[6].

أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق و تعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص 37، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.)

[1] تمر المصادر التاريخية مرا سريعا على ولاية أبي المهاجر، إما لأنها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى و الثانية، أو بسبب استياء الرواة من تصرفات أبي المهاجر و إساءته لعقبة. (أنظر: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 129

[2] رياض النفوس، ج1، ص 33، معالم الإيمان، ج1، ص 46.

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 127، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 86.

[4] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1ن ص 127-128.

[5] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.

[6] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33-34، ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 450. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

فسارع عقبة بن نافع بعد تعيينه هذا إلى إعادة بناء القيروان و نقل الناس إليها، كما قام بتوثيق أبي المهاجر دينار بالحديد[1]، ثم تجهز لمحاربة الروم و مواصلة الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، و قام بتجهيز حملة كبيرة ناحية المغرب الأوسط.

و انطلق في حملته هذه من قاعدة الفتح القيروان، بعد أن استخلف عليها زهير بن قيس البلوي[2]، بجيش قوامه خمسة عشر ألف جندي[3]، لفتح بلاد المغرب الأوسط و مقاومة الروم البيزنطيين. فدخل بجيشه هذا إلى المغرب الأوسط و الروم يهربون من طريقه يمينا و شمالا، إلى أن وصل إلى مدينة باغاية[4] شرق جبل الأوراس قرب مدينة خنشلة، ففتحها بعد أن حاصرها و قاتل الروم المتواجدين بها قتالا شديدا[5]، و غنم منهم خيلا كثيرا لم ير المسلمون أصلب منها و لا أسرع فهي نتاج جبل أوراس المطل عليها[6].

و منها توجه إلى مدينة لمبيس (لمبيز) ففتحها بعد قتال عنيف مع الروم و أصاب بها غنائم كثيرة[7]، ثم ارتحل إلى بلاد الزاب بالتحديد إلى مدينة أذنة التي كان لها حولها ثلاثمائة قرية كلها عامرة، فلما بلغ أهلها أن عقبة قادما إليهم لجئوا إلى حصنهم، و هرب أغلبهم إلى الجبال و الأماكن الوعرة، و نزل عقبة على واد يبعد عن المدينة ثلاثة أميال، و لما تجهز الروم في المساء نزلوا بدورهم بجيش ضخم أسفل الوادي، و لكن لم يحدث القتال بين الفريقين في الليل، و سهر الجيشين في تلك الليلة خوفا من مباغتة أحدهم للآخر، فسمي ذلك الوادي " وادي سهر" و عندما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم، فحدثت معركة ضارية بينهما، انتهت بانتصار المسلمين و القضاء على الروم في بلاد الزاب[8].

---

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 34.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 450، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 23. (غير أن ابن عبد الحكم و المالكي و الدباغ يذكران أن عقبة استخلف بالقيروان مع زهير بن قيس البلوي، عمر بن علي القرشي). (أنظر: فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 267. رياض النفوس، ج1، ص 34. معالم الإيمان، ج1، ص 47-48)

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 128.

[4] مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، بها أسواق و لها واد يجري إليها من جهة القبلة، و اكثر غلاتها الحنطة و الشعير، منها إلى قسنطينة ثلاث مراحل، و منها إلى مدينتي طبنة و قسطيلية أربع مراحل. و حاليا المدينة تدعى باغاي و هي تابعة لولاية خنشلة و تقع في الشمال منها. (أنظر الإدريسي: القارة الافريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق و تقديم و تعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 177-178)

[5] المالكين المصدر السابق، ج1، ص 34. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 48.

[6] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 42. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 24. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 128.

[7] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 128. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 87.

[8] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 42-43. المالكين المصدر السابق، ج1، ص 36-37. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 49.

ثم ارتحل عقبة و جيشه إلى الجهة الغربية للمغرب الأوسط، و نزل بمدينة تيهرت و قاتل فيها الروم و البربر معا، و انتصر عليهم، ثم واصل طريقه ناحية تلمسان ففتحها[1]، و منها اتجه إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة، ثم قاتل البربر في السوس الأدنى و الأقصى[2].

و في طريق عدوته من المغرب الأقصى استشهد عقبة بن نافع و جنده و أبي المهاجر دينار سنة 64 هـ/684 م في منطقة تهودة بالقرب من بسكرة بالمغرب الأوسط[3].

فتوحات زهير بن قيس البلوي:

استخلفه عقبة بن نافع على القيروان لما خرج في حملته الكبرى على بلاد المغرب، و لكنه تراجع إلى برقة عندما استولى كسيلة على القيروان مرابطا بها، و لما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة عينه قائدا لجيوش المسلمين في بلاد المغرب في حدود سنة 67 هـ /686م[4]، فجهز زهير جيش كبير قدره ستة آلاف جندي[5]، و توجه لقتال كسيلة في القيروان، و لكن هذا الأخير عسكر في مدينة ممس جنوب القيروان، و التقى الجمعان هناك و دار قتال شديد بينهما، فانهزم في آخر المطاف كسيلة و قتل في المعركة، فانصرف زهير إلى القيروان فأقام بها مدة يسيرة[6].

و بعدما آمن الناس في القيروان ترك عسكرا كثيرا من أصحابه فيها، و رحل في جمع آخر قاصدا مدينة برقى ليخلص أسرى المسلمين من أيدي الروم الذين أغاروا على بقرة في حملة بحرية خرجت من صقلية مستغلين غياب زهير و جيشه الذي كان يقاتل كسيلة في القيروان، و لما وصل برقة باشر القتال و اشتد الأمر و عظم الخطب فتكاثر الروم عليه فقتلوا زهيرا و من معه في ساحل درنة و لم ينج منهم أحد، و عاد الروم بما غنموا إلى القسنطينية[7].

فتوحات حسان بن النعمان الغساني:

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 129. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 87.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 25 و ما بعدها، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.
[3] عن طيفية استشهاد عقبة و جنده. (أنظر المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 39 و ما بعدها. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451-452. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 28 و ما بعدها. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 51 و ما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237-238)
[4] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 44. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 238.
[5] يذكر المالكي أن جيش زهير يضم ألفين من البربر و أربعة آلاف من العرب. (أنظر: رياض النفوس، ج1، ص 45).
[6] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 45.
[7] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 44-45.

تولى حسان بن النعمات قيادة جيش المسلمين في بلاد المغرب بعهد من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في حدود سنة 73 هـ /692م، و يختلف المؤرخون كثيرا في تاريخ تعيينه هذا[1]، كما يختلفون في تاريخ بداية حملته العسكرية ضد الروم بقرطاجنة و الكاهنة[2] بمنطقة الأوراس بالمغرب الأوسط، و الأرجح أنه بدأ يحارب الروم بقرطاجنة سنة 76 هـ /695م[3] حيث قدم إليهم بجيش ضخم قوامه أربعين ألف جندي[4]، فتمكن من القضاء عليهم و تبديد، ففروا ناحية مدينة باجة، و فرّ بربر تلك المنطقة إلى ناحية بونة[5].

و فيما يخص مقاومته لزعيمة البربر بعد كسيلة، الكاهنة رئيسة قبيلة جراوة بناحية الأوراس بالمغرب الأوسط، فقد كان في نفس السنة، حيث عاد حسان بجيشه إلى القيروان بعد هزيمته للروم بقرطاجنة، لإعادة تنظيم صفوفه، و لما جهز جيشه من جديد قال لأهل القيروان " دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية" فدلوه على امرأة من البربر تدعى الكاهنة[6]، فتجهز لها بجيش جرار، و كانت أول حملة عسكرية لحسان على بلاد المغرب الأوسط.

و لما سمعت الكاهنة بمقدمه جمعت جيش ضخم و عسكرت بمدينة باغاية، و أخرجت منها الروم ثم هدمتها، ظنا منها أنه يريد التحصن بها[7]، أما حسان فقد أكمل طريقه إلى

---

[1] اختلف المؤرخون في تاريخ تعيين حسان بن النعمان واليا على بلاد المغرب، حيث يرى المالكي أنه كان سنة 69 هـ /688م، بينما يرى ابن عبد الحكم أنه كان سنة 73 هـ/692 م، في حين يرى ابن الأثير أنه كان سنة 74 هـ /693م، و يذكر ابن عذارى أنه كان سنة 78 هـ /697م. و الأرجح هو رأي ابن عبد الحكم، لأن التاريخ الذي يذكره المالكي مستبعد كون الأوضاع في بلاد المشرق كانت آنذاك مضطربة جدا، حيث استفحل امر الخوارج، و كذلك ثورة عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما)، فبعد قضاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على ثورة ابن الزبير في حدود سنة 73 هـ /692م و استتب له الأمر، بعث حسان لمواصلة الفتح في بلاد المغرب في نفس السنة. (أنظر: فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 269. رياض النفوس، ج1، ص 48. الكامل في التاريخ، مج4، ص 135. البيان المغرب، ج1، ص 34.)

[2] هي زعيمة البربر بعد كسيلة الأوربي، تدعى دهيا بن ماتية بن تيفات و هي من قبيلة جراوة البترية، كانت تقيم بعاصمتها تيسدروس قرب مدينة خنشلة، و كانت تخبر قومها بأشياء من الغيب لهذا سميت الكاهنة، و كان جميع من بافريقية من الروم منها خائفون، و جميع البربر لها مطيعون. (أنظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 46). ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 135، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 35، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 158. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 148).

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 134. صالح بن قربة و آخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص 25-26.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 34. (و يذكر ابن الأثير انه لم يدخل افريقية قط جيش مثله). (أنظر: الكامل في التاريخ، مج4، ص 135)

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 135.

[6] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 49-50، ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 135. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[7] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 50.

المغرب الأوسط و عسكر بوادي مسكيانة[1]، فقيل له أن الكاهنة قد أقبلت في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، فقال " دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه"[2] فدلوه على نهر أو واد نيني[3]، فزحفت إليه الكاهنة بجيوشها حتى أتت أسفل النهر، و حسان كان في أعلاه، و في صباح الغد حدثت معركة مهولة بين الجيشين، حيث عظم البلاء و ظن المسلمون انه الفناء، و انهزم حسان و جنده، في ضفاف هذا النهر الذي أصبح يدعى نهر البلاء[4]، كما سمي وادي العذارى[5]، و انسحب ناحية القيروان و طاردته الكاهنة حتى خرج من مدينة قابس بالمغرب الأدنى، فالتجأ حسان إلى برقة، و بقي بها خمس سنين[6] ينتظر المدد من الخلافة الأموية بالمشرق، و خلالها بنا قصورا سميت بقصور حسان[7].

و قد أسرت الكاهنة في هذه المعركة ثمانين رجلا من المسلمين، أطلقت سراحهم جميعا ما عدا خالد بن يزيد العبسي[8] الذي اتخذته والدا لها، و ملكت بذلك الكاهنة بلاد المغرب خمس سنين، و قد ارتكبت خلال هذه المدة خطأ كبيرا، حيث قامت بتحطيم و تخريب بلاد المغرب، ظنا منها أن المسلمين قدموا للاستيلاء على خيرات البلاد، و يذكر ابن عذارى أنها قالت للبربر: " إن العرب (يقصد هنا المسلمين ككل) إنما يطلبون من افريقية المدائن و الذهب و الفضة، و نحن إما نزيد منها المزارع و المراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد افريقية كلها، حتى ييئس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر"[9]. فتضرر البربر من سياستها هذه، و سخطوا عليها، و بدأوا في تغيير ولائهم لحسان و التخلي عن نصرتها، و يذكر الرقيق القيرواني أنه لجأ أهل مدن قفصة و قسطيلية و نفزاوة و حوالي

---

[1] مسكيانة، هي قرية عامرة قديمة، قريبة من مدينة باغاية، بها زروع و مساكن و عيون، و لها سوق ممتدة كالسماط، و هي أكبر من مدينة مرماجنة القريبة منها، و اليوم هي دائرة تابعة لولاية أم البواقي، تقع في أقصى الجنوب الشرقي منها. (أنظر: الإدريسي، القارة الافريقية و جزيرة الأندلس، ص 195)

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 50.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. (و يذكر الرقيق القيرواني أن هذا النهر يسمى بلسان البربر " بلى"). (أنظر تاريخ افريقية و المغرب، ص 46-47.) (و توجد اليوم في جنوب شرق ولاية أم البواقي بلدية تدعى واد نيني، و هي قريبة من دائرة مسكيانة).

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 51.

[5] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 47. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 36.

[6] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 47. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 36. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. (غير أن المالكي يقول أن حسان عسكر بناحية برقة ينتظر المدد مدة ثلاث سنين فقط، و الأرجح ما أثبتناه في المتن). (أنظر: رياض النفوس، ج1، ص 51).

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 43.

[8] اختلف المؤرخون في نسبه بين العبسي و القيسي، و بين اسمه و اسم أبيه فهل هو خالد بن يزيد أو يزيد بن خالد. أعجبت الكاهنة بجماله و شجاعته، فتبنته والدا لها، حيث عمدت إلى دقيق الشعير فلتته بزيت، و جعلته على ثدييها و دعت ولديها و قالت كلا معه على ثدي ففعلا، فقالت قد صرتم إخوة. (أنظر ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270ن الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 47. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 51. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 37. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239).

[9] البيان المغرب، ج1، ص 36.

ثلاثمائة رجل من النصاري يستغيثون إليه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب[1]، كما يذكر ابن عذارى أنه خرج يومئذ من المغرب خلق كثير من النصارى و الأفارقةن مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة، فتفرقوا على الأندلس و سائر جزر البحر الرومي[2].

و في تلك الأثناء كان حسان مرابطا بمدينة برقة، و يعد العدة للزحف على المغرب الأوسط من جديد و القضاء على الكاهنة، و قد عمد إلى إرسال رجل يثق به إلى خالد بن يزيد العبسي أسير الكاهنة، لكي يتقصى له أمرها و أحوال بلادها و رعيتها، و قد تمكن من الحصول على معلومات مهمة تتمثل بالخصوص في سخط الرعية من سياسة الكاهنة التي أثقلت كاهلهم[3].

و لما وصله المدد من المشرق في حدود سنة 81 هـ /700 م و اصبحت الظروف كلها في صالحه و ضد الكاهنة[4]،انطلق في حملة ثانية على المغرب الأوسط بجيش جرار مصمما على القضاء عليها و عندما علمت الكاهنة بمقدمه رحلت من جبل أوراس في خلق عظيم، و أوصت خالد بن يزيد العبسي أن يستأمن لولديها عند حسان و أن يقبلا عليه، و تنبأت بمقتلها، و لكن قررت المقاومة حتى الموت[5].

و يذكر المالكي أن الجمعان التقيا ناحية قابس، فانهزمت الكاهنة، و فرت مع من بقي من جندها إلى قلعة بسر لكي تتحصن بها و لكنها وجدتها مخربة، فانتقلت ناحية جبال الأوراس، و معها صنم عظيم من خشب كانت تعبده، يحمل من بيديها على جمل، و لحقها جند حسان، فاقتتلا الجمعان و انهزمت الكاهنة و قتلت عند بئر سماها المسلمون " بئر الكاهنة"[6].

أما البربر فقد طلبوا الأمان من حسان، فأمنهم و اشترط عليهم أن يعطوه من جميع قبائلهم اثنا عشر ألف فارس يكونون مع المسلمين مجاهدين، فأجابوه و أسلموا، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر، و انضموا

---

[1] تاريخ افريقية و المغرب، ص 48-49.
[2] البيان المغرب، ج1، ص 36-37.
[3] عن كيفية نقا خالد بن يزيد العبسي، المعلومات العسكرية حول الكاهنة و قومها إلى حسان. (أنظر ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 51-52. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 90.)
[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 90.
[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 37-38.
[6] رياض النفوس، ج1، ص 54 و ما بعدها.

للمجاهدين لاستكمال فتح بلاد المغرب، فانصرف حسان إلى القيروان بعدما تأكد من أن البربر بناحية الأوراس حسن إسلامهم و ذلك في شهر رمضان سنة 82 هـ / 701 م[1].

تمثل نهاية مقاومة الكاهنة بمنطقة الأوراس بالمغرب الأوسط، منعرجا حاسما في عملية الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، فقد دخلت هذه المنطقة بأسرها في الإسلام، حتى أصبح أكثر جيش حسان من البربر، و قد عمد هذا الأخير بعد أن استقامت له بلاد المغربين الأدنى و الأوسط إلى تدوين الدواوين، و تنظيم الخراج، و وضع النظم الإدارية[2].

فتوحات موسى بن نصير:

تولى موسى بن نصير ولاية المغرب في حدود سنة 83 هـ /702 م[3] بعهد من والي مصر عبد لعزيز بن مروان الذي قام بعزل حسان بن النعمان قيل لثأر شخصي بينهما، فقدم موسى إلى افريقية فخطب في الجنود الذين استغربوا لعزل قائدهم حسان الذي يكنون له التقدير و الاحترام، فبرر في خطبته سبب العزل حيث قال بأنه بسبب كفره بالنعمة و تطاوله على أولي الأمر و النهي، و أمر موسى بصرف رواتب الجند ثلاث أضعاف مما كانت عليه في عهد حسان لكي يستميلهم نحوه و يتناسوا ما حدث من عزل، و افتتح عهده بافريقية بعزل نائب حسان و مساعديه و تغريمهم و تصفيدهم في الحديد و ترحيلهم إلى المشرق[4].

و فيما يخص فتوحاته في المغرب فقد فتح أولا قلعة زغوان و نواحيها، ثم أكمل فتوحه و توجه غربا إلى المغرب الأوسط و شمل نشاطه قبائل هوارة و زناتة و كتامة و صنهاجة، ثم اتجه إلى المغرب الأقصى و أخضع قبيلة اوربة، ثم عاد إلى القيروان للاستعداد من جديد، فنضم جيشه و توجه إلى المغرب الأقصى في حملة أخرى فأخضع السوس الأقصى، و المصامدة في جبال درن، كما فتح السوس الأدنى و عين واليا عليها، ثم فتح طنجة و ولى

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 38.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 56. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 164.

[3] اختلف المؤرخون في تحديد سنة تعيين موسى بن نصير واليا على المغرب حيث قال ابن عبد الحكم أنه كان سنة 79 هـ / 698 م. و قال ابن الأثير أنه كان سنة 89 هـ / 708 م و ذكر قولا آخر قال فيه أنه قيل بأنه عين سنة 78 هـ /697م، أما الرقيق القيرواني و الن خلدون لم يذكرا التاريخ بدقة و قالا أن تعيينه كان في بداية خلافة الوليد بن عبد الملك و التي كانت سنة 86 هـ /705 م. في حين يرى ابن عذارى ان تعيينه كان سنة 83 هـ /702 م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، و لما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة 86 هـ / 705 م أقره في منصبه، و هو الأرجح حسب اعتقادي بالنظر إلى صيرورة الأحداث التاريخية. (أنظر: فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 274. الكامل في التاريخ، مج4، ص 252. تاريخ افريقية و المغرب، ص 51. العبر، ج4، ص 239.، البيان المغرب، ج1، ص 39 و ما بعدها).

[4] عن ظروف عزل الوالي حسان بن النعمان، و تعيين موسى بن نصير واليا جديدا على بلاد المغرب. (أنظر: موسى لقبال، المرجع السابق، ص 81 و ما بعدها).

عليها طارق بن زياد[1]، و لم تبق غير مدينة سبتة التي استعصت على المسلمين لحصانتها الطبيعية و الصناعية و مساعدة ملوك القوط لحاكمها يوليان[2].

و باستيلاء المسلمين على طنجة قاعدة المغرب الأقصى و تحويلها إلى رباط عسكري بقيادة طارق بن زياد يكتمل فتح المغرب الأقصى و يعود موسى بن نصير إلى القيروان.

عنوان المحاضرة: الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

عرض حاكم سبتة يوليان على والي طنجة طارق ابن زياد المساعدة من أجل فتح بلاد الأندلس[3] فاستشار طارق موسى بن نصير في القيروان و استشار هو الآخر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في استكمال الفتح إلى ما وراء البحر أي بلاد الأندلس، فأذن له الخليفة بشرط إرسال حملات استطلاعية لمعرفة أحوال هذه البلاد[4].

فأرسل طارق بن زياد لهذا الغرض رجل اسمه طريف و يكنى بأبي زرعة في مئة فارس و أربع مائة راجل سنة 91 هـ /710 م على رأس حملة انطلقت من طنجة بأربعة سفن أمدها لهم حاكم سبتة يوليان إلى ساحل الأندلس، فنزل في موضع أصبح يدعى جزيرة طريف إلى يومنا هذا، و شن سلسلة غارات وصلت حتى الجزيرة الخضراء فقتل و سبى و أصاب غنائم كثيرة، و عاد إلى طنجة بأخبار مفرحة لطارق حيث أخبره بسعة البلاد و كثرة نعمها و خيراتها، و لما سمع موسى بن نصير هذه الأخبار أمر طارق بن زياد بتجهيز حملة كبرى لغرض فتح الأندلس[5].

جهز طارق بن زياد جيشا قدره اثنا عشر ألف جندي من البربر[6]، و عبر إلى الأندلس و قيل أنه أحرق السفن عندما وصل إلى العدوة الأندلسية[1] و قال مقولته الشهيرة لتشجيع

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 40 و ما بعدها، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 89.

[3] يذكر ابن عبد الحكم أن طارق بنز ياد حاكم طنجة راسل يوليان حاكم سبتة و لاطفه و تبادل الهدايا، و لما فسدت العلاقة بين يوليان و ملكه القوطي لذريق الذي تعدى على شرف ابنته، راسل يوليان طارق و عرض عليه المساعدة في فتح الأندلس انتقاما من ملكها لذريق. (أنظر: فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 276-277).

[4] مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط2، ص 16.

[5] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص 16-17. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق و ترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983م، ج1، ص 98.

[6] اختلف المؤرخون في تحديد عدد جيش طارق بن زياد، حيث يذكر الرقيق القيرواني أن عدده اثنا عشر ألف جندي من البربر، و يتفق معه في العدد صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس و يقول أن عشرة آلاف منه كانت من البربر و ألفين من العرب، و سبعمائة من السودان (أفارقة سود) كما يتفق معهما ابن الأثير في العدد لكن دون تفصيل في قومية هذا الجيش الإسلامي، بينما يرى صاحب كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس ان عدده سبعة آلاف مقاتل فقط و يذكر أن جلهم من

الجيش على الثبات و الجهاد في سبيل الله " أيها الناس أين المفر؟ البحر من وراءكم و العدو أمامكم و ليس لكم و الله إلا الصدق و الصبر..."[2].

و قد حط طارق في جبل يعرف إلى اليوم باسمه و هو جبل طارق في شعبان 92 هـ/ جوان 711 م و بدا حملته بالاستيلاء على المدن و القرى المجاورة له، ثم تقدم في البلاد يحقق نصرا تلو الآخر على الجيوش التي كان يرسلها لذريق لصد تقدمه، و عندما لم تغني هذه البعوث التي أرسلها تجهز لذريق بنفسه في جيش ضخم بلغ تعداده مئة ألف مقاتل[3]، و قد توجه به جنوبا صوب جيش طارق بن زياد فالتقى الجمعان في الثامن و العشرين رمضان 92 هـ/18 جويلية 711 م في معركة ضارية دامت ثمانية أيام انتهت بانتصار المسلمين و انهزام القوط و قتل ملكهم لذريق أو غرقه في بعض الروايات، و قد سميت هذه المعركة بأسماء عدة منها معركة شذونة، البحيرة، و تعرف أكثر بمعركة وادي لكة[4].

ثم تقدم طارق لمواصلة الفتح فهزم القوط مجتمعين في مدينة استجة، و فتح قرطبة و طليطلة عاصمة القوط و مدن كثيرة[5]، و هنا أصبحت البلاد كلها تقريبا سهلة للفتح و في متناول الخلافة الأموية.

أما موسى بن نصير فقد أعد بدوره جيشا قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل[6] و دخل الأندلس بعد عام من حملة طارق بن زياد في رمضان 93 هـ / 712 م و فتح شذونة و قرمونة و اشبيلية و ماردة و باجة[7]، ثم ذهب إلى طليطلة فاستقبله طارق بتعظيم و إجلال، و لكن موسى بدلا أن يشكره وبخه و أنبه على عدم توقفه عند قرطبة و مواصلته للفتح[8]، و

البربر و الموالي، و ليس فيهم عرب إلا قليل. (أنظر: تاريخ افريقية و المغرب، ص 53. ذكر بلاد الأندلس، ص 98، الكامل في التاريخ، مج 4، ص 264. اخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص 17).

[1] الإدريسي، القارة الافريقية و جزيرة الأندلس، ص 263. (و للبحث أكثر في مسألة إحراق السفن من عدمها، أنظر: عبد الحليم عويس: إحراق طارق بن زياد للسفن اسطورة... لا تاريخ، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995م، ط1، ص 5 و ما بعدها).

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 25-26.

[3] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص 18.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 277 و ما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج4، ص 264. ابن خلدون، العبر، ج4، ص 239.

[5] ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرين القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط2، ص 35. مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 99.

[6] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص 24. (غير أن صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس يذكر أن عدد جيش موسى هو عشرين ألف فارس). (أنظر ذكر يلاد الأندلس، ص 99).

[7] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص 24 و ما بعدها.

[8] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية و المغرب، ص 54.

يذكر ابن عبد الحكم أن طارق ترضاه و قال له إنما أنا مولاك و هذا الفتح لك[1]، فقبل موسى اعتذاره و رضي عنه[2].

و المهم بعد هذا اللقاء وضع القائدان طارق و موسى خطة لاتمام فتح ما تبقى من الأندلس، فقد خرج الجيش الإسلامي من طيطلة و على مقدمته طارق و من خلفه موسى في بقية الجيش متوجهين إلى الشمال الشرقي ففتحا مدينة سرقسطة و برشلونة و نافار و وصلوا إلى جبال البرت (البرينيه)، ثم افتتحا مدن الإقليم الشمالي الغربي المتمثلة في جليقية و قشتالة و غيرهما، و أخيرا عادوا أدراجهم جهة الجنوب الشرقي و فتحوا بلنسية، و لم يفتح المسلمون فقذ من شبه الجزيرة الإيبيرية إلا أقصى الشمال الغربي حيث جبال أستوريش التي اعتصم بها القوط رفقة زعيمهم بلايو أو بلاي، و شيئا فشيئا قويت شوكتهم حتى كونوا المملكة النصرانية في الشمال[3].

و أقام موسى بالأندلس مجاهدا و جامعا للأموال و مرتبا للأمور إلى بداية سنة 95 هـ /714 م ثم استخلف ابنه عبد العزيز عليها و رجع إلى القيروان و منها استدعي من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى المشرق رفقة طارق بن زياد[4].

عنوان المحاضرة: عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي

مفهوم عصر الولاة:

يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب و الأندلس من فترة عزل موسى بن نصير و رجوعه إلى المشرق سنة 95 هـ / 714 م حتى قيام الدول المستقلة عن الخلافة في المشرق، و قد استقلت أقطار المغرب الإسلامي تبعان حيث ظهرت الدولة المدرارية في سلجماسة سنة 155 هـ /772م، و الدولة الرستمية بتيهرت سنة 160 هـ / 777 م، و الدولة الادريسية بفاس سنة 172 هـ /788م، و أخيرا دولة الأغالبة بالقيروان سنة 184 هـ / 800م[5].

مميزات عصر الولاة في بلاد المغرب:

اتسم عصر الولاة بالمغرب بأربعة مظاهر كبرى و هي:

---

[1] فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 280.
[2] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 100.
[3] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 168.
[4] المراكشي، المعجب، ص 11. (و عن مصير موسى بن نصير و طارق بن زياد). (أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ج1، ص 284 و ما بعدها، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 36-37، الرقيق القيروانين تاريخ افريقية و المغرب، ص 58-59).
[5] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004م، ص 65.

1- تفشي الروح العصبية و العنصرية القبلية بين القبائل العربية (الصراع التاريخي الذي حدث في المشرق انتقل إلى المغرب بين العرب القيسية و الكلبية)[1].

2- السياسة الإدارية السيئة لبعض الولاة الأمويين و العباسيين في بلاد المغرب، و قد تجلت هذه السياسة أكثر في عهد الواليين يزيد بن أبي مسلم الثقفي و عبيد الله بن الحبحاب السلولي.

3- انتشار المذهب الخارجي الصفري و الإباضي بين القبائل المغربية.

4- اندلاع الثورات المغربية ضد ولاة السلطة المركزية الذين حكم بعضهم بالظلم و الجور، و قد انتهت هذه الثورات بطبيعة الحال إلى قطيعة أهل المغرب و الخلافة الأموية و العباسية، و خروج معظم مناطق المغربين الأوسط و الأقصى عن إدارة الخلفاء و ولاتهم في المغرب، ثم الانفصال التام و الاستقلال النهائي أثناء الحكم العباسي[2].

التنظيم الإداري:

كان والي المغرب يقود الجيوش و يجهز البعوث للأقاصي و يقسم الغنائم بين المحاربين على قاعدة الأخماس، و يصرف مرتبات الجند من بين مال المسلمين (مال الولاية) و يعمل على نشر الدين الإسلامي و التبشير به، و يساعد الولاة في هذه الأعمال مجموعة من العمال و هم عامل الخراج و الصدقات، كاتب الولاية و توابعه من المحتسبين و المفتين و المقرئين و الشهود[3].

التنظيم المالي:

كانت النظم المالية المطبقة في بلاد المغرب على العموم مشابهة للنظم السائدة في أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى مع بعض الاختلافات البسيطة كاشتراط عمرو بن العاص على أهل برقة ان يبيعوا في جزيتهم من أولادهم من أحبوا، و مثل بقاء التعامل في افريقية بالسكة الرومية التي ضربها جرجير، و مثل أخذ المسلمين لجزية غير نقدية من غير المسلمين في المواشي. و الجوانب المالية في المغرب هي نفسها في باقي الأقاليم الإسلامية و التي تتمثل في: الغنائم، الفيء، الخراج، الجزية، الزكاة و العشور.

و عندما توقفت الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب قلت موارد بيت مال المسلمين، فقام بعض ولاة المغرب مثل يزيد بن أبي مسلم و عبيد الله بن الحبحاب بفرض ضرائب باهظة على البربر، و هذه الضرائب كانت مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي التي تنص على أن

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 119-120.
[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 153 و ما بعدها
[3] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 108-109.

المسلمين لا تؤخذ من أموالهم غير الزكاة، فأدى ذلك إلى ظهور معارضة قوية من البربر للدفاع عن حقوقهم المشروعة عن طريق إعلان الثورة ضد سياسة الولاة[1].

عنوان المحاضرة: عصر الولاة في بلاد الأندلس

يبدا عصر الولاة في الأندلس من ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة 95 هـ /714 م و ينتهي مبكرا في سنة 138 هـ /755 م بقيام الدولة الأموية، عكس بلاد المغرب الذي تأخر نسبيا حتى سنة 184 هـ /800م، و قد قامت الدولة الأموية بقيادة عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل و بصقر قريش حيث قضى على آخر والي عباسي و هو يوسف بن عبد الرحمن الفهري في شهر ذي الحجة 138 هـ /ماي 756 م[2].

و قد تولى الأندلس بعد فتحها سنة 92 هـ /711م إلى أن دخلها عبد الرحمن الداخل حوالي عشرين واليا في فترة قاربت نصف قرن من الزمن، و قد مكث بعضهم في الإمارة عدة أشهر فقط و هناك من حكم بضع سنوات، و يتم تعيينهم إما بقرار من الخلافة في المشرق مباشرة أو بقرار من والي المغرب، و قد يجمع الجند و أهل الأندلس أحيانا على اختيار والي ثم يقره الخليفة فيكون التعيين ذاتيا[3].

و قد قسمت الأندلس إداريا في البداية إلى أربع ولايات يعين لكل واحدة حاكم مسئول أمام والي الأندلس، و تشمل الولاية الأولى الأراضي الواقعة بين البحر و نهر الوادي الكبير و ما يلي هذا النهر إلى وادي بانا و أهم مدنها قرطبة جيان و اشبيلية و مالقة، و تشمل الولاية الثانية اسبانيا الوسطى من البحر المتوسط شرقا إلى حدود لوزيتانيا (البرتغال الحالية) غربا و تمتد حتى نهر دورو في الشمال و أهم مدنها طليطلة و وادي الحجارة و بلنسية و دانية و مرسية و غيرها، و تشمل الولاية الثالثة جليقية و لوزيتانيا (البرتغال القديمة) و أهم مدنها ماردة و باجة و لشبونة و غيرها، و تشمل الولاية الرابعة المنطقة الممتدة من شاطئ نهر دورو إلى جبال البرينيه على شفتي نهر الأبرو و أهم مدنها سرقسطة طرطوشة، برشلونة، تطيلة، بلد الوليد و وشقة و غيرها، و عندما استعت الفتوحات الإسلامية أنشئت ولاية خاصة شمال البرينيه[4].

سمات عصر الولاة في الأندلس:

يتميز عصر الولاة في الأندلس بمجموعة من السمات أهمها:

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 138 و ما بعدها.
[2] أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1988م، ط2، ص 70-71.
[3] منى حسن محمود: المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرنجة (206-92 هـ /714-814 م)، دار الفكر العربين القاهرة، 1986م، ص 10. محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 191 و ما بعدها.
[4] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 184-185.

- وصول الجيوش الإسلامية إلى ما وراء جبال البرت (البرينيه) حيث الأراضي الفرنسية و مدنه بون و ليون و غيرها و إتمام الفتح الإسلامي في كامل بلاد الأندلس ماعدا منطقة أستوريش التي اعتصم بها القوط، و قاموا بتنظيم هجمات على المسلمين لدحرهم نحو الجنوب، و لعل أهم قادتهم في تلك المرحلة هو ألفونسو الأول الذي وحد جبهة المقاومة النصرانية ضد المسلمين لأول مرة عام 133 هـ /750م.

- نشر الدين الإسلامي و تعاليمه السمحة في الأندلس، و دخول عدد معتبر من السكان المحليين القوط في الإسلام.

- حرية الأديان حيث عاش غير المسلمين في الأندلس أحرار في عقائدهم.

- القضاء على نظام الطبقات الذي كان سائدا في عهد القوط.

- الصراع العربي العربي بين القيسية و اليمنية، و قد خلف ذلك اضطرابا و فوضى كادت ان تقضي على تواجد المسلمين بالأندلس في المهد.

- اشتراط بني أمية ان يكون الوالي على الأندلس عربيا و أن تكون قيادة الجيوش و الوظائف الكبرى محصورة في عشيرتهم أو القبائل المتحالفة معهم.

- قيام البربر ببعض الثورات ضد سياسة الولاة الجائرة.

- ضرب العملة الإسلامية و الاهتمام بالبناء و التعمير حيث بنى الولاة المساجد و المدارس و دور العلم لنشر الإسلام.

- نشأة جيل المولدين نتيجة انخراط الفاتحين بالسكان الأصليين القوط و انتشار الإسلام بصورة سريعة[1].

عنوان المحاضرة: الدولة المدرارية في المغرب الأقصى

ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي:

بالرغم من أن المذهب الخارجي كان مشرقي النشأة إلا أن مبادئ و آمال رجالاته تجسدت أيضا في بلاد المغرب الإسلامي، و قد تمثل ذلك في قيام دولتين خارجيتين إحداهما صفرية المذهب اتخذت من سلجماسة بإقليم تافيلالت بالمغرب الأقصى عاصمة لها و نقصد بها الدولة المدرارية، و الثانية انتحلت الإباضية و جعلت من تيهرت بالمغرب الأوسط عاصمة لها و نقصد بها الدولة الرستمية.

و قبل تأسيس الخوارج لهاتين الدولتين كان لهم نشاط كبير مهد لقيامهما، و قد ساعدت عدة عوامل في تحقيق ذلك أهمها:

---

[1] منى حسن محمود، المرجع السابق، ص 17 و ما بعدها، محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 180 و ما بعدها.

- الدعاية المحكمة لنشر أفكار المذهب الخارجي من جهة، و ضد مذهب الخصوم من جهة أخرى.
- تهيئة الأرضية الفكرية لتقبل الفكر الخارجي عند البربر الذين وجدوا في أفكار الخوارج مخرجا لهم خاصة ما يتعلق بمبدأ جواز الخروج على السلطان الجائر بالسلاح، لأنه يسعى إلى الإطاحة بحكم الأمويين ثم العباسيين من بعدهم بسبب ما ارتكبته بعض ولاتهم على المغرب من ظلم في حقهم.
- احتضان و إعجاب البربر بفكرة الحكم الشورى و عدم انحصاره في قريش و لا في بيت عربي آخر ما يعني أن هذه الفكرة تفتح لهم بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.
- التنظيم السري المحكم للدعوات الخارجية.
- استخدام السلاح في الوقت المناسب بعد التنظيم و الدعاية و الانتشار.
- ضعف الدولة الأموية في أواخر عهدها، و العباسية في بداية نشأتها و انشغالهما بالثورات التي حدثت في بلاد المشرق عن ما يحدث في بلاد المغرب.
- انفصال و انعزال الخوارج و بعدهم عن السلطة المركزية بالمشرق و عاصمة الولاة بالمغرب القيروان، حيث حول الخوارج نشاطهم إلى المغرب الأقصى و الجزء الغربي من المغرب الأوسط، فمكنهم ذلك من تنظيم صفوفهم و القيام بالثورة، و لم يكن أعدائهم من القضاء عليهم بسبب البعد المكاني و صعوبة التدخل في الوقت المناسب[1].

و تجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أن البربر قبل اعتناقهم للمذهب الخارجي و إعلانهم الثورة ضد سياسة الولاة الجائرة قاموا بتصرف حضاري يبين أنهم ليسوا من الذين يحبون إثارة الفوضى و الاضطراب و الثورة لأتفه الأسباب، حيث قاموا بإرسال وفد يتكون من حوالي عشرين رجلا بقيادة ميسرة المطغري إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في دمشق لمطالبته بإصلاح الوضع في بلاد المغرب، و يخلصهم من ظلم الولاة و لكنهم لم يتمكنوا من مقابلته إذ حال الأبرش و وزيره بينهم و بينه، فعاد الوفد إلى المغرب و قد عزموا على الثورة بعدما يئسوا من الإصلاح بالطرق السلمية[2].

---

[1] محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ط2، ص 42 و ما بعدها، موسى لقبال، المرجع السابق، ص 151 و ما بعدها، عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع و تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط2، ص 131 و ما بعدها.

[2] الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت، ط2، ج4، ص 254-255.

و قد شهد الطبري بأن البربر كانوا يميلون إلى السلم بقوله " مازال أهل المغرب من أسمع أهل البلدان و أطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلاما و طاعة، حتى دب إليهم أهل العراق"[1].

نسب الصفرية:

الصفرية نسبة إلى زياد بن الأصفر و هو النسب الأكثر تداولا لدى المؤرخين، و هناك من ينسبهم إلى أقدم أئمتهم عبد الله من صفار، كما نسبوا إلى النعمان بن صفر، و هناك من يقول أنهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوهم فقيل صفرية، و قيل بل هم الصفرية لخلوهم من الدين فقد كان يقال لهم أنتم صفر في الدين[2].

نشاط الصفرية و قيام الدولة المدرارية:

بدا نشاط الخوارج الصفرية[3] ببلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة على يد دعاتهم الأوائل و على رأسهم عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ذلك العالم التابعي المغربي الأصل الذي اعتنق المذهب الصفري و قام بنشره في بلاد المغرب عن طريق اتصاله برؤساء القبائل البربرية سواء عندما زار بلاد المغرب و بالتحديد القيروان أو حينما تقابل معهم في المدينة المنورة[4].

و شيئا فشيئا نمت حركة الخوارج الصفرية باعتناق بعض القبائل البربرية لهذا المذهب و أعلنوا الثورة ضد ولاة الأمويين للتخلص من سياستهم الجائرة المتمثلة خاصة في الجشع المادي، و كانت أولى ثورات الخوارج الخطيرة تلك الثورة التي قادها ميسرة المطغري زمن الوالي عبيد الله بن الحبحاب سنة 122 هـ /740 م، حيث جهز جيش قوامه أربعين ألفا من الصفرية و خمسة و عشرون ألفا من الإباضية و استولى على مدينة طنجة و طرد حاكمها عمر بن عبد الله المرادي، و بايع الخوارج بها قائدهم ميسرة بالخلافة، و لكنه أساء السيرة فيهم فثاروا عليه و قتلوه، ثم بايعوا خالد بن حميد الزناتي و أخذوا يشنون الغارات في المغربين الأقصى و الأوسط، و لما جاءت عساكر الوالي ابن الحبحاب لرد هجماتهم التقى الجمعان على ضفاف نهر الشلف و جرت معركة ضارية سميت بمعركة الأشراف سنة 122 هـ /740 م و التي انتهت بهزيمة جنود ابن الحبحاب، كما هزمت جيوش الخوارج أيضا جنود الوالي كلثوم بن عياض القشيري في موقعة بقدورة على وادي سبو سنة 124 هـ /

---

[1] تاريخ الرسل و الملوك، ج4، ص 254.
[2] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 44-45.
[3] حول مبادئ و عقائد المذهب الصفري (أنظر الشهرستاني: الملل و النخل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاهود، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ط2، ج1، ص 159-160).
[4] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 46 و ما بعدها.

742 م، و في نفس السنة هدد الصفرية القيروان و لكن جموعهم انهزمت في معركتي القرن و الأصنام أمام جنود الوالي حنطلة بن صفوان الكلبي، و في سنة 132 هـ / 750م و قيل سنة 140 هـ / 757 م اجتمع الصفرية في مدينة مكناسة و بايعوا عيسى بن يزيد الأسود إماما لهم، و لكنهم سرعان ما تنكروا له و قتلوه شر قتلة في سنة 155 هـ /772م، و عينوا ابو القاسم المدراري خليفة لهم فتوارث اولاده الحكم فيما بعد، و قد بلغ عددهم حوالي ثلاثة عشر أميرا"[1].

و قد اتخذ المدراريون من سلجماسة جنوب المغرب الأقصى عاصمة لدولتهم و التي استمرت قائمة إلى أن ظهرت الدولة العبيدية (الفاطمية) بالمغرب فأطاحت بها سنة 296 هـ /909م لكن ما إن غادر العبيديون سلجماسة حتى أعاد المدراريون إنشاء دولتهم من جديد، و أطاح بها الفاطميون مرة أخرى سنة 347 هـ /958م، فأعاد إحيائها ولدي الشاكر محمد بن الفتح، المنتصر بالله و المعتز بالله، حيث حكمها المنتصر بالله إلى غاية 352 هـ /963 م، ثم المعتز بالله إلى غاية 366 هـ /976م حيث زحف عليه أمير مغراوة الزناتية خزرون بن فلفول و قضى على دولتهم بصفة نهائية[2].

الحياة الاجتماعية:

انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أحدث انقلابا في موازين القوى الاجتماعية ببلاد المغرب، إذ هوت بعض العناصر التي كانت تحتكر السلطة السياسية و صعدت عناصر كانت مغلوبة على أمرها لتقف على قدم المساواة مع القوى الأخرى او نالت حظها في بعض الأحيان في قيادة الثورات و تولي مقاليد الحكم و السياسية. و بالنسبة لفئات المجتمع المدراري فأغلب العناصر السكانية في الدولة المدرارية هم بربر، ثم يأتي باقي العناصر منها التي قدمت من مدن مشرقية شهيرة مثل البصرة و الكوفة و بغداد، و هناك يهود يمارسون التجارة، و كذلك الأفارقة السود و الأندلسيين و غيرهم، و قد ساهم هذا الخليط من السكان في تحول المدراريين بالتدريج من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، و من الفقر و العوز إلى الترف و الثراء، و من مظاهر الترف الاجتماعي انتشار الحمامات و الأسواق و الأطعمة الطيبة[3].

الحياة الاقتصادية:

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 158 و ما بعدها، محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 62 و ما بعدها.
[2] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 210 و ما بعدها.
[3] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 285 و ما بعدها.

لقد قامت الدولة المدرارية في منطقة صحراوية، و مع ذلك واكب قيامها ازدهارا في الزراعة و الصناعة و رواجا في التجارة، ففي مجال الزراعة استفاد بنو مدرار من مياه نهر ملوية، و شقو القنوات لتوصيل المياه إلى الأراضي الزراعية الواسعة، و استكثروا من الغروس فزرعوا أشجار النخيل و الأعناب على مساحة بلغت اربعين ميلا، و يؤكد صاحب الاستبصار ذلك حينما قال أن سلجماسة كثيرة النخل و الأعناب و الفواكه[1]. و اشتهرت سلجماسة إلى جانب ذلك بزراعة الحنطة و الشعير و القطن و الكمون و الكراوية و غيرها، و لاشك أن أعداد هائلة من البربر في سلجماسة تحولوا إلى مزارعين دون أن يهملوا حرفة تربية الماشية و الأبقار.

تطورت الدولة المدرارية و لو نسبيا في الميدان الصناعي، نتيجة وجود عناصر غير مغربية تعيش في كنف الدولة كاليهود و الأندلسيين و الفرس و العرب المشارقة، و وفرة المناجم في مدينة درعة الغنية بالذهب و الفضة ساعد على استغلال مقدرات البلاد الاقتصادية استغلالا طيبا، و قد استغل اليهود المناجم و احترف الأندلسيين المقيمين بسلجماسة حرف الحدادة و أعمال البناء، كما عرفت سلجماسة في عهد بني مدرار بصناعة الثياب و السكر و الملح و الأحذية و غيرها[2].

أما التجارة فقد كانت مزدهرة لكون سلجماسة تقع في مفترق مسالك تجارية شهيرة في العصر الإسلامي الوسيط، فقد كانت جميع القوافل التجارية القادمة من تلمسان و فنس و مراكش و بلاد الأندلس و غيرها من المدن و المتجهة نحو بلاد السودان الغربي أو العائدة منها تمر بسلجماسة. و من أهم البضائع التي كانت تجلب إلى سلجماسة البضاعتان الثمينتان الذهب و الرقيق اللتان تجلبان من مدن غانة و أودوغست و تكرور و غيرها و تأخذ إلى أوروبا و بلاد الأندلس[3].

الحياة الفكرية:

رغم أن الدولة المدرارية تمكنت من تحقيق بعض الازدهار الاقتصادي إلا أنها بقيت دولة بدوية ذات حضارة محدودة، و ربما وقف نظامها القبلي حجرة عثرة أمام تطورها الحضاري، و مع هذا لا يخلو هذه الدولة من بعض السمات التي يمكن وضعها في سياق الحركة الحضارية و الثقافية، فمثلا كان لها طابعها العمراني المتأثر بالذوق البدوي، و لما توطدت العلاقات بين الدولتين المدرارية و الرستمية بدءا بعهد الأمير الخامس اليسع بن

---

[1] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة و المدينة و مصر و بلاد المغرب، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، د ت، ص 201.

[2] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 275-276.

[3] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 276 و ما بعدها

مدرار المنتصر (276-270 هـ/883-889 م) أضحى المظهر الحضاري و الثقافي في سلجماسة أكثر شبها و قربا من تيهرت الرستمية، حيث شرع بعض العلماء و الأدباء الإباضيين في الانتقال إلى سلجماسة بغرض نشر العلم و بث الدعوة الإباضية، كما تنقل طلبة العلم من افريقية إلى سلجماسة للتعلم على مشاهير العلماء الإباضيين المقيمين بها. كما ساهم التسامح الذي لقيه اتباع المذاهب الأخرى كالسنة المالكية و المعتزلة و الشيعة الروافض من قبل المدراريين في وجود نوع من التنافس الفكري بين هذه النحل، و قد أقامت في سلجماسة أعداد غفيرة من المعتزلة تمتعوا بحرية و تسامح في رحاب الصفرية على الرغم من تطرف المذهب الصفري، و ليس أدل عرى ذلك من سماح المدراريين لهم بأن يبعثوا بزكاة أموالهم إلى رئيسهم بتيهرت يصرفها حيث شاء[1].

العلاقات الخارجية:

التقت أهداف الدولتين المدرارية و الرستمية و توطدت بينهما أواصر المودة و الصداقة فأصحابها ينتميان إلى المذهب الخارجي، فالرستميون نظروا إلى سلجماسة على أنها منفذ هتام للقوافل التجارية إلى بلاد السودان الغربي، و شعر المدراريون بأهمية الرستميين لهم إذ ان توثيق الصلات بهم يعطيهم الأمان الذين يشعرون بالحاجة إليه كدولة صغيرة يتربص بها الأعداء خاصة جيرانهم الأدارسة، و زاد التقارب بين الدولتين عندما حدثت المصاهرة بينهما حيث تزوج الأمير مدرار بن المنتصر بن اليسع من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم، كما توطدت العلاقات الثقافية و التجارية بينهما[2].

و بالنسبة للعلاقات مع دولة الأدارسة فقد اتسمت بطابع العداء الذي اتخذ صورة تدبير المؤامرات أولا ثم تحول إلى صراع عسكري أسفر عن توسع الأدارسة على حساب بني مدرار أخيرا، و لم يكن الصراع نتيجة الاختلاف المذهبي بقدر ما كان نتيجة لأسباب سياسية و اقتصادية و اجتماعية، فسياسيا كانت علاقة المدراريون جيدة مع أعداء الأدارسة البرغواطيين و بني رستم و بني أمية بالأندلس، كما أن قيام دولة الأدارسة تم على حساب الخوارج الصفرية، بالإضافة إلى أطماع الأدارسة في ذهب سلجماسة و فضة درعة. و رغم هذا العداء إلا أن العلاقات تخللتها فترات من المسالمة و حسن الجوار كما كان هناك تبادل

---

[1] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 292 و ما بعدها.

[2] محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160-296 هـ)، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، 1987م، ط2، ص 206 و ما بعدها

تجاري بين الدولتين، حيث كانت القوافل التجارية تروح جيئة و ذهابا بينهما في أمان و سلام[1].

اتخذت علاقات بني مدوار مع العباسيين و أعوانهم الأغالبة طابع العداء بسبب الاختلاف المذهبي، و انفصال الدولة المدرارية عن الخلافة العباسية، حقيقة أن هذا العداء لم يصل إلى درجة قيام الحروب بينهما، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزة خصومه، و حالت الظروف السياسية و العوامل الجغرافية دون تناحرهم، فالدولة الرستمية بالمغرب الأوسط كانت حائلا جغرافيا بين الأغالبة و بني مدرار منع من حدوث الاصطدام المباشر بينهما، كما آثر الأمراء المدراريون حياة الهدوء و الموادعة داخل بلادهم النائية. و اتخذت أيضا العلاقات المدرارية العبيدية (الفاطمية) طابع العداء الشديد، حيث أسقط العبيديون الدولة المدرارية سنة 296 هـ /909م. و بالنسبة لعلاقات بني مدرار و الأمويين بالأندلس فلم يكن الاختلاف المذهبي و البعد الجغرافي حائلا دون وجود صلات ودية بينهما، فقد جمعهما العدو المشترك للخلافة العباسية و الأغالبة و الأدارسة، و سمح التقارب السياسي بينهما لوجود علاقات تجارية بحرية متينة تربط موانئ الأندلس بالبحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) بموانئ بني مدرار في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي).

عنوان المحاضرة: الدولة الرستمية في المغرب الأوسط

بداية الدعوة و تأسيس الدولة:

كان نشاط الإباضية مشابه لنشاط إخوانهم الصفرية و متزامنا معهم أيضا، و قد ثاروا بدورهم على سياسة الولاة الجائرة، و ظهرت هذه الفرقة إلى الوجود ببلاد المشرق الإسلامي و كان دعاتها الأوائل إلى جانب عبد الله بن إباض، أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، و أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري و غيرهم.

لما أدرك الإباضية صعوبة الدعوة لمذهبهم في المشرق انتقلوا إلى بلاد المغرب فظهر بها سلمة بن سعد الذي يعتبر أول داعية إباضي يدخل بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة، و استقر بمدينة سرت و قيل بالقيروان و أخذ ينشر المذهب الإباضي، فكون أتباعا و أرسل بعضهم إلى البصرة ليتلقوا العلم من علماء الإباضية، و قد ذهب منهم عبد الرحمن بن رستم، و عاصم الصدرائي، و أبو دواد القبلي النفزاوي، و اسماعيل بن ضرار الغدامسي، و انضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، و قد مكثوا مدة

[1] محمود اسماعيل: الأدارسة (375-172 هـ) حقائق جديدة، مكتبة مديولي، القاهرة، 1991م، ط1، ص 136 و ما بعدها.

خمس سنين و عاد هؤلاء الخمسة إلى المغرب و هم يشتعلون حماسا لإقامة دولة على المذهب الإباضي[1].

و قد بايع الإباضية أبو الخطاب المعافري إمام لهم في محرم سنة 140 هـ / جوان 757م بعد استيلائهم على مدينة طرابلس و اتخذوها مقرا لهمن و اختار أبو الخطاب رفيقه في العلم عبد الرحمن بن رستم قاضيا بطرابلس. و كان أبو الخطاب معروفا بالعدل و الرفق بالرعية فعظم شأنه و امتد سلطانه إلى برقة شرقا و القيروان غربا و فزان جنوبا[2].

و كان استيلاء ابو الخطاب على القيروان سنة 141 هـ /758 م و أخرج قبيلة و رفجومة منها، و جعل عبد الرحمان بن رستم واليا عليها، و قد مكث فيها إلى سنة 144 هـ /761 م حيث وصلت جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور و هزمت الإباضية و أخرجتهم من القيروان، و قتلوا زعيمهم أبي الخطاب المعافري، و على إثر هذه الهزيمة أحس عبد الرحمن بن رستم بالخطر المحدق به بالمغرب الأدنى فقرر الذهاب إلى المغرب الأوسط رفقة الإباضيين الذين نجوا من المعركة حيث لا يصلهم جنود العباسيين، فاستقر عند قبيلة لماية البترية و ذلك لحلف قديم كان قائما بينه و بينهم، و لما تكاثرت عليه الجموع شرع في تأسيس قاعدة يمكن الدفاع عنها فكان اختياره قد وقع على منطقة تيهرت لخصوبة أرضها و وفرة مياهها و حصانة طبيعتها و جودة مناخها، و كان أول بناء شرع فيه في حدود سنة 144 هـ /761م و هو المسجد الجامع ثم البيوت و باقي المرافق الأخرى، و بعد أن أصبحت معقلا عمرانيا و سياسيا و حضاريا و توطدت أسس الإمارة و أركانها و ترسخت دعائمها و قواعدها بايع الإباضية عبد الرحمن بن رستم الإمامة سنة 160 هـ / 777م[3].

و قد ترسخ الحكم الوراثي في الأسرة الرستمية حيث اقتصر الحكم على نسل عبد الرحمن بن رستم، و ناقض بذلك الرستميون مبدأ الشورى الذي ناد به الخوارج و الذي ينص على عدم انحصار الحكم في قبيلة أو أسرة معينة[4].

و عن عمر دولتهم فقد عمرت حوالي قرنا و ثلاثين عاما إلى أن أسقطت سنة 296 هـ /909م من قبل العبيديين (الفاطميين).

الحياة الاجتماعية:

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 165.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 67 و ما بعدها.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، 196، محمد عيسى الحريرين المرجع السابق، ص 82 و ما بعدها.

[4] عندما تم انتخاب عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم للإمامة، انقسم الرستميون إلى فرقتين إحداهما تناصره و تدعى الوهبية، و الأخرى تعارض أمر توليه السلطة فسميت نكارية، و رغم مقتل زعيم النكارية إلا أنه بقيت منهم جماعات متفرقة في القبائل، و قد ظهر فيما بعد منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري المعروف بصاحب الحمار و الذي قاد ثورة كبيرة ضد العبيديين (الفاطميين). (أنظر حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 118-119.)

فئات المجتمع الرستمي كان أغلبها من السكان الأصليين للمغرب البربرن كما تواجد بتيهرت الكثير من المشارقة العرب منهم و الفرس و الأندلسيين و الأوربيين و الأفارقة السود، بالإضافة إلى اليهود و النصارى الذين كانوا يزاولون الأعمال الاقتصادية و العلمية و الفنية. و كان المجتمع الرستمي مقسم إلى طبقتين الطبقة الأولى تتمثل في وجود البلد أو الخاصة و هي طبقة ثرية، و الطبقة الثانية هي العامة و هي التي تمثل غالبية السكان من الطبقة المتوسطة و الفقيرة، و على العموم فالروح السمحة التي امتاز بها الإباضيون كونت نوعا من التضامن بين أفراد المجتمع الرستمي، و رغم تعدد الاتجاهات الدينية و العرقية فقد كان المجتمع يعيش في سلم و أمان خاصة في المرحلة الأولى من عمر الدولة. و على العموم فقد خلف قيام الدولة الرستمية آثارا اجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الأوسطن فقد تحولت مدينة تيهرت و العديد من المدن الرستمية مثل غدامس و ورجلان و ودان و زويلة من غابات و غياض و آجام للوحوش و الزواحف إلى مدن عامرة آهلة بالسكان مزدانة بالعمائر و الزروع، و ترتب عن ذلك انتقال السكان من حياة البداوة و الترحال إلى حياة الحضارة و الاستقرار[1].

الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الزراعة لدى الرستميين نتيجة امتلاكهم مجالات ضخمة من الأراضي الزراعية و كذلك وفرة المياه لكثرة الوديان المحيطة بالعاصمة تيهرت، و من منتوجاتهم نذكر الحبوب و الفواكه بمختلف أنواعها خاصة السفرجل، كما اشتهرت الدولة الرستمية بواحاتها الخصبة في وسط الصحراء أهمها واحة ورجلان الغنية بنخيلها[2]، و اشتهر الرستميون أيضا بتربية المواشي نظرا لوجود نطاقات رعوية واسعة، و يذكر ابن حوقل بأن مدينة تيهرت كانت أحد معادن الدواب و الماشية و الغنم و البغال[3].

أما الصناعة فقد ازدهرت هي الأخرى لتوفر المواد الخام لمختلف الصناعات، فاشتهرت تيهرت بصناعة المنسوجات الصوفية و الكتانية و الحريرية و الجلدية، و صناعة الطواحين التي أقاموها على الأنهار، كما تقدمت لديهم صناعة الأواني الفخارية و الخزفية و خاصة ما يستعمل منها لغرس الأزهار، كما اشتهروا بالصناعة الزراعية كعصر الزيتون و صناعة العطور، كما عرف الرستميون بالصناعة المنجمية لتعدد المناجم الغنية بالحديد و الزنبق[4].

---

[1] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 289 و ما بعدها.
[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 231-232.
[3] ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 86.
[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 232-233.

و بالنسبة للتجارة فقد كانت الدولة الرستمية و بحكم موقعها المتوسط بين المغربين الأدنى و الأقصى و بحكم علاقاتها الحسنة مع المدن بلاد السودان الغربي و الأندلس و سلجماسة تحتل مركزا تجاريا ممتازا في بلاد المغرب، فكانت سفن الأندلس تصل إلى موانئها بتنس و مستغانم و وهران مشحونة بالبضائع الأندلسية فتفرغها و تحمل منتجات الرستميين من منسوجات صوفية و العاج و الجلود، كما كانت القوافل التجارية تصل إليها من فاس و القيروان و سلجماسة و بلاد كوكو في شمال السودان الغربي، و كان الرستميون يصدرون إلى بلاد كوكو و غانة المنسوجات الصوفية و الكتانية و الحرير و القوارير الزجاجية و الأواني الحزفية البراقة و الملونة و التحف المعدنية و العطور، و كانت تستورد من مدن السودان الغربي الذهب الخام و العاج و ريش النعام و جلود الحيوانات[1].

الحياة الفكرية:

كانت الدولة الرستمية ذات اشعاع حضاري و فكري و ملتقى وفود طلاب العلم، و أجبت هذه الرقعة الجغرافية الرستمية عددا من العلماء و الأدباء و الشعراء و الفقهاء في المذهب الإباضي، تركوا بصماتهم على كل جوانب الفكر الفقهي و الفلسفي و الجدل و علم الكلام، و في النظريات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الأخلاقية، و كان أئمتهم على قدر كبير من العلم، فعبد الرحمن كان مفسرا و له تأليف في التفسير، و ابنه عبد الوهاب ألف كتابا يحوي قضايا دينية عنوانه مسائل نفوسة، كما كان يقضي ليله في دراسة علم الفرائض، و يذكر المؤرخون أن ابنه أفلح تفوق عليه من الناحية العلمية و بلغ درجة علية من معرفة الرياضيات و علم الفلك، أما أبو اليقظان الإمام الخامس فقد اشتهر هو الآخر بعلمه حيث ألف كتب ليرد على المخالفين. كما اشتهر الإباضيون بالمناظرات حيث كان أول مادة يدرسها الإباضي في صغره هي علم المناظرة الذي كان يتطلب معرفة جيدة باللغة العربية و القرآن و الحديث و علم الحقوق و اللاهوت، و لقد دعيت مدينة تيهرت بعراق المغرب و شبهت بعواصم المشرق الإسلامي و الأندلس، و كانت تيهرت مكتبة العصومة التي كانت تضم حوالي ثلاثة مائة ألف مجلد في مختلف العلوم و الفنون، و قد خربها و أحرقها العبيديون (الفاطميون)[2].

العلاقات الخارجية:

اتسمت العلاقات بين الرستميين و الأدارسة بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية و الاجتماعية و السياسية، فالأدارسة سنة مالكية أما بنو رستم فكانوا خوارج إباضية، و قد كان

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 233 و ما بعدها.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 235 و ما بعدها، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ت، ص 157 و ما بعدها.

الأدارسة يغيرون على أملاك الدولة الرستمية لمحاولة اقتطاع أجزاء منها، و نجحوا في الاستيلاء على تلمسان سنة 173 هـ /790م، كما حاكوا المؤامرات لبني رستم حيث كانوا وراء تمرد الواصليين على الإمام عبد الوهاب سنة 195 هـ /811م، و أغلب الظن أن ثورات قبيلة هوارة على الرستميين لم تخل من تحريض الأدارسة، و عن رد فعل الرستميين الذي لم يكن قويا فقد قام الإمام عبد الوهاب بتحريض أصهاره من بني يفرن على الثورة ضد الأدارسة فنجحوا في ثورتهم مدة إلى أن أخضعهم بصورة نهائية إلى نفوذ فاس الإمام إدريس الثاني سنة 197 هـ /813م. و هكذا اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الأدارسة بطابع العداء و أسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الأدارسة و استكانة الرستميين لأنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم في تدبير المكائد و إحداث الشقاق[1].

و فيما يخص علاقتهم مع جيرانهم الأغالبة فقد قرر الرستميون اتباع سياسة التعايش السلمي مع دولة الأغالبة و هي الجار الأقوى على حدودهم الشرقية، بالرغم من خلافاتهم المذهبية و مسألة موالاة الأغالبة لأعدائهم العباسيين، و انتهاج الرستميين للتعايش السلمي يرجع في حقيقة الأمر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدولتين، إذ تطوق دولة الأغالبة الدولة الرستمية من الشرق و الجنوب و حتى من الغرب لما احتل الرستميون طرابلس و ما جاورها، و لم تكن هذه الحدود واضحة المعالم، و هذا التعايش السلمي لا يعني انه لم يكن هناك عداء بينهما، بالرغم من كون الأغالبة لم يستطيعوا الإفصاح عن هذا العداء كما فعلوا مع باقي الدول المعادية للخلافة العباسية لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل و الخلافات التي كانت تظهر بين الحين و الآخر في مجتمع الدولة الرستمية[2].

و عن علاقة الرستميين بالأمويين في الأندلس فقد كانت علاقة ودية، على اعتبار أنهما يملكان عدوا مشتركا و هم العباسيون، و قد قامت بين قرطبة و تيهرت علاقات تجارية و كانت السفن تتردد على مدينتي وهران و المريةن و كانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس، و كان لأفلح بن عبد الوهاب مع أمراء بني أمية مودة كبيرة حيث كانوا يتبادلون الهدايا النفيسة[3].

و بالنسبة لعلاقتهم مع العباسيين فقد كانت علاقة عداء لأن الرستميين اقتطعوا جزءا من ممتلكات العباسيين بالمغرب، و لوجود عداء تقليدي بين الخلافة العباسية السنية و بين الإباضية باعتبار أنهم فرقة من الخوارج، و رغم هذا العداء فقد كانت هناك فترات من السلم و الموادعة بين الدولتين ساهم في وجود علاقات ثقافية تمثلت في الصلة القوية بين بين

---

[1] سعدون عباس نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223 هـ /788-835 م، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1987م، ط1، ص 166 و ما بعدها.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 196 و ما بعدها

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 157.

الرستميين و إباضية المشرق خاصة أهل البصرة الذين كانوا من الناحية الشكلية رعايا الدولة العباسية، و نفس العلاقات بالتقريب كانت بين الرستميين و الطولونيين بمصر التابعين للخلافة العباسية، إلا أن السلم كان مع الطولونيين أفضل حيث حرص الرستميون على حسن الجوار معهم لأن مصر تمثل الجار الشرقي و المنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، إلا أنه يلاحظ ان العلاقات السياسية كانت ضعيفة في حين نشطت العلاقات التجارية و الثقافية و مرجع ذلك أن مصر كانت موالية للخلافة العباسية[1].

عنوان المحاضرة: الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى

تأسيس الدولة:

الأدارسة نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم اجمعين) و قد فر إدريس الأول من الجيش العباسي بالمشرق على إثر هزيمة العلويين في معركة فخ[2] يوم السبت الثامن من شهر ذي الحجة سنة 169 هـ / 10 جوان 786 م[3] و دخل إلى المغرب الإسلامي، و هناك روايتين لكيفية دخوله إلى بلاد المغرب و الأقرب منها إلى الحقيقة أنه دخل رفقة مولاه راشد عن طريق مصر حيث ساعده رجلا يدعى واضح مولى صالح بن المنصور و يعرف بـ " المسكين" و كان هذا الرجب يميل إلى العلويين حيث أمن له الطريق للوصول إلى القيروان ثم إلى مدينة تلمسان و ارتحل بعدها إدريس إلى طنجة و نزل في مدينة وليلي سنة 172 هـ /789 م و كانت هذه المدينة منطلقا لنجاح دعوته و تأسيس دولته[4].

و قد ساعدته قبيلة أوربة في ذلك عندما بايعوه بالإمامة في شهر رمضان سنة 172 هـ / فيفري 789 م ثم توالت القبائل الأخرى في مبايعته لحبهم لآل البيت[5].

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 187 و ما بعدها.

[2] من فجاج مكة، و قيل من وديانها، بينهما ثلاثة أميال و قيل ستة، و يذكر أن النبي صلى الله عليه و سلم اغتسل بها قبل دخوله مكة. (أنظر: الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1399 هـ /1979م، مج4، ص 237-238، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص 436-437.)

[3] يرى ابن الأثير و ابن خلدون أن معركة فخ كانت يوم التروية الموافق ليوم السبت الثامن ذي الحجة 169 هـ /10 جوان 786م و هو الأرجح، بينما يرى الحموي و الحميري أنها كانت في شهر ذي القعدة سنة 169 هـ / ماي 786م. (أنظر الكامل في التاريخ، مج5، ص 267، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 10-11، معجم البلدان، مج4، ص 237، الروض المعطار، ص 436).

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج5: ص 268، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م، ص 15 و ما بعدها، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 11، محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 34-35.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 268. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 11.

و في حدود سنة 192 هـ/808 م في عهد إدريس الثاني تم بناء مدينة فاس لتصبح عاصمة للدولة الإدريسية، و قد انتقل إليها الناس و عمروها و شيدوا مبانيها، و قد شملت دولتهم شمال المغرب الأقصى و بعض بلدان من المغرب الأوسط كتلمسان و ما جاورها[1].

و اتبعت الدولة الإدريسية النظام الوراثي حيث حكمها أربعة عشر حاكما كلهم من نسل إدريس الأول، و يلاحظ على هذه الدولة انها لم تنشأ على يد الدعاة، و لا كان لها تنظيم سري و لا حمل السلاح كما هو الحال بالنسبة للصفرية و الإباضية و العبيديين (الفاطميين)[2]، و بالنسبة للمذهب المتبع فالدولة الإدريسية لم تكن شيعية (رافضية) و إنما كانت تجمع بين التسنن و الاعتزال في بداياتها الأولى، ثم طغى المذهب السني المالكي عليها فيما بعد، و قد كان إدريس الأول يقول نحن أحق باتباع مذهب مالك و قراءة كتابه و ذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل[3]، و من الأدلة التي تثبت ذلك كون الأدارسة لم يرتكبوا أي أعمال إجرامية في حق اهل السنة كما فعل العبيديون الشيعة الروافض.

و بالنسبة لنهاية الدولة الإدريسية بصفة نهائية فقد كان سنة 375 هـ /985 م على يد العبيديون الذين هزموهم في سنة 296 هـ /909م فأعادوا بعث دولتهم ثم هزموهم سنة 305 هـ /917 م ثم سنة 309 هـ/ 921 م، و في سنة 313 هـ /925 م مكنوا موسى بن أبي العافية المكناسي من الاستيلاء على دولتهم، وتوالت هزائمهم تباعا إلى أن تم القضاء عليهم نهائيا سنة 375 هـ /985 م[4].

الحياة الاجتماعية:

يمثل البربر السواد الأعظم من السكان، يليهم العرب ثم أقليات من السودان الغربي و اليهود الذين لم يكن لهم وزن في الحياة السياسية، و قد عمل حكام الدولة على المساواة بين كافة العناصر و الأجناس و أحدثوا انقلابا في موازين القوى الاجتماعية في المغرب الأقصى، إذ وقف البربر لأول مرة على قدم المساواة مع العرب في تولي مناصب سامية في الدولة مثل الوزارة و قيادة الجيش و غيرها، و فيما يخص حياة السكان فقد كانت آمنة حيث تحولت القرى إلى مدن كبرى عامرة، و تحول الناس من حياة البداوة و الترحال إلى حياة الحضارة و الاستقرار. و قد ضرب الأئمة الأدارسة المثل لرعاياهم و ذلك بمبادرتهم إلى تفقد أحوالهم الصحية و المعاشية، و كان الإمام يعود المرضى و يواسيهم و كذلك الفقراء و

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 211، سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 149 و ما بعدها
[2] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 115 و ما بعدها
[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 186.
[4] عن كيفية سقوط الدولة الإدريسية و الاسباب التي أدت إلى ذلك (انظر محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 83 و ما بعدها).

الأيتام و الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن في الحرب. و قد جعلت هذه الأعمال سكان المغرب يرفعون أئمتهم الأدارسة إلى مستوى القديسين فنسبوا إليهم المعجزات حتى بعد وفاتهم[1].

الحياة الاقتصادية:

كانت مزدهرة فقد اهتم الأدارسة بالزراعة حيث استفادوا من مياه الأمطار و المياه الجارية في الوديان، فمدينة فاس بها نهر يشقها نصفين و على مسافة ميلين منها يوجد وادي سبو اللذين يسقيان جنانها و بساتينها[2].

و قد شقا الأدارسة القنوات و اهتموا بزراعة الحبوب خاصة القمح و الشعير و الذرة، و اشتهرت مدنهم بطيب ثمارها خاصة عاصمتهم فاس التي أنتجت الرمان و السفري و التين و العنب و الخوخ و الجوز و العناب و الأترش و السفرجل و سائر الفواكه الخريفية و تأتي من عدوة القرويين، و تختص عدوة الأندلسيين بالتفاح و أصناف الكمثري و المشمش و البرقوق و التوت[3].

كما اهتم الأدارسة بتربية الماشية، حيث شهد قطاع الرعي تطورا هاما، ليس أدل على ذلك مما روي عن أسواق مدينة أغمات التي كان يذبح بها مائة ثور و ألف شاة كل أسبوع، ناهيك عن وفرة الألبان و منتجاتها التي اشتهرت بها سائر أقاليم المغرب الأقصى[4].

و اهتم الأدارسة بالصناعة و عملوا على تطويرها مغتنمين فرصة وجود عدد من الحرفيين العرب و اليهود و الفرس، و أهم الصناعات كانت صناعة المواد الغذائية من طحن الحبوب و عصر الزيتون و صناعة الصابون و السكر، كما ازدهرت صناعة النسيج منها زي شعبي يسمى السفاري، و كذلك التلمساني، و ازدهرت أيضا صناعة الأسلحة للدفاع عن النفس فأتقنوا انتاج الدرق و السيوف و الخناجر و الأقواس و الألبسة الصوفية الخشنة التي كانت بمثابة دروع، كما اهتم الأدارسة بالصناعات المنجمية و احتكرت الدولة بعضها كمناجم الفضة، و أوكل معظمها كمناجم النحاس إلى الأفراد و الجماعات لاستغلالها مقابل خمس الإنتاج، و ليس أدل على ازدهار الصناعات و الحرف من ذيوع ظاهرة التخصص و ظهور الأصناف خاصة في المدن الهامة كفاس[5].

بديهي أن تروج التجارة الداخلية و الخارجية كنتيجة للازدهار الزراعي و الرعوي و الصناعي، فضلا عن إقرار الأمن و صيانة الطرق، الأمر الذي شجع التجارة الداخلية في

---

[1] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 117-118.
[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 33-34
[3] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 161
[4] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 73
[5] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 73-74

الأسواق الموسمية و الدائمة، و حقق وحدة اقتصادية متكاملة، و انصهارا اجتماعيا متجانسا، فاختفت النزاعات الاقليمية و الإثنية و المذهبية، كما راحت التجارة الخارجية خاصة مع بلاد السودان الغربي حيث الذهب و الرقيق، و من أهم السلع المصدرة إلى هذه البلاد الجلود التي اشتهرت بها فاس و أغمات و الأدوات الخشبية التي أنتجتها بلاد الريف، كما سمحت موانئهم في البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) و بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) بتسهيل التجارة الخارجية مع بلاد الأندلس و دول المغرب و المشرق الإسلاميين، و كانت الأندلس تستورد بالخصوص الأخشاب من المغرب الأقصى دون تصنيع لاستخدامها في بناء السفن[1].

الحياة الفكرية:

كان عهد الأدارسة بالمغرب عهد عمارة و تأسيس، فإنهم كثيرا ما أنشئوا مدنا مزدهرة و مبان فخمة خاصة بمدينة فاس عاصمة دولتهم، و في مدينتي سبتة و وليلي و غيرهما، فبالنسبة لمدينة فاس فقد كانت مدينتين بينهما نهر، المدينة الشمالية تسمى عدوة القرويين (نسبة لأهل القيروان) و المدينة الجنوبية تسمى عدوة الأندلسيين (نسبة لأهل الأندلس)[2] و قد أسس الأدارسة مؤسسة علمية ضخمة بفاس كثر وفود العلماء و طلبة العلم عليها من كل ناحية و صوب خاصة من أهل القيروان و الأندلس، و هي جامعة القرويين سنة 245 هـ / 859 م و التي تعد من أقدم الجامعات بعد جامعة الزيتونة بتونس و قد أسستها امرأة بربرية من قبيلة هوارة هي فاطمة بنت محمد الفهري المعروفة بأم البنين[3].

العلاقات الخارجية:

تأثرت سياسة الأدارسة الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي و مذهبها الديني و ظروفها السياسية و لقد تطرقنا سابقا للحديث عن علاقة الأدارسة مع الدولتين المدرارية و الرستمية، و سأتحدث الآن عن علاقاتها مع الخلافة العباسية بالمشرق و دولة الأغالبة بالمغرب، و كذلك علاقتها مع الخلافة الأموية بالأندلس و العبيديين (الفاطميين) بالمغرب.

فقد كانت علاقتهم مع الخلافة العباسية علاقة عداء شديد، فالعداء الذين كان بين أبناء العمومية العباسيين و العلويين في المشرق استمر أكثر حدة لما أسس الأدارسة العلويين دولتهم في المغرب الأقصى، و قد حاول الخليفة العباسي هارون الرشيد القضاء على هذه

---

[1] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 74

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 31-32، عبد الهادي التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدولة الإدريسية، مطابع فضالة، المحمدية، 1987م، مج 4، ص 21-22

[3] ابن أبي زرع، روض الفرطاس، ص 54 و ما بعدها، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 188

الدولة الناشئة خاصة بعد أن امتدت حدودها إلى المغرب الأوسط و لكن بعد العراق حال دون إرسال الجيوش، و من مظاهر هذا العداء الشديد بين الطرفين تلك الرسالة الخطيرة و الهامة التي أرسلها إدريس الأول إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت و يصف التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي و يطالبهم بتأييده و مساندته[1]، و قد أقلقت هذه الرسالة كثيرا الخليفة الرشيد فسارع للتخلص من الإمام إدريس حيث أرسل أحد جواسيسه " سليمان بن جرير الشماخ" الذي تمكن من اغتياله بالسم، ثم اغتيال راشد المولى الإمام إدريس، و مع هذا م يستطيعوا القضاء على دولة الأدارسة و هم في أوج عزهم و قوتهم، عند ذلك عزموا على التآمر المباشر و كلفوا ولاتهم الأغالبة في افريقية بهذه المهمة، و استمرت العلاقات العدائية حتى سقوط الدولة نهائيا و لم تشهد أي نوع من التقارب[2].

و فيما يخص علاقتهم مع دولة الأغالبة فمن الطبيعي أن تكون امتدادا لعلاقات بغداد بفاس فدولة الأغالبة كانت تدين بالولاء السياسي و التبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي، و لقد فرضت الظروف الجغرافية و السياسية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدائيا و لكن هذا العداء لم يبلغ حد القتال و تجهيز الجيوش لوجود فاصل بينهما هو دولة بني رستم الخارجية[3].

و عن علاقة الأدارسة بالأمويين بالأندلس فقد اتسمت هي الأخرى بالطابع العدائي على العموم نتيجة العداء الموروث في المشرق بين الأمويين و العلويين، و رغم ذلك لم يحدث التصادم الحربي بينهما لأنهما يملكان عدوا مشتركا و هو الخلافة العباسية بالمشرق و حليفتهم دولة الأغالبة بالمغرب، فكلا الدولتين خضعتا لسياسة الاعتراف بالأمر الواقع، و اقتصرت مظاهر العداء بينهما على حيك المؤامرات و المكائد و التجسس و تشجيع المنتزين، و قد حرص الطرفين على ذلك على توطيد العلاقات الاقتصادية إذ حرص أمويو الأندلس على أن تظل أسواق المغرب الأقصى مفتوحة أمام بضائعهم فضلا عن الفوز بنصيب من تجارة السودان الغربي عن طريق تجار الأدارسة[4].

و بالنسبة لعلاقة الأدارسة بالعبيديين (الفاطميين) فقد كانت علاقة حرب و تصادم، على اعتبار أن العبيديين أسقطوا دولة الأدارسة سنة 296 هـ / 909 م، و إحياء الأدارسة لدولتهم تجددت المعارك بين الدولتين إلى أن سقطت دولة الأدارسة بصفة نهائية سنة 375 هـ/ 985 م. و على العموم فقد اتسمت علاقتهما بالعداء و لكن تخللتها نوع من المرونة لكون الأدارسة كانوا بين مطرقة العبيديين و سندان الأمويين بالأندلس فقد وقفوا موقف المتردد

---

[1] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، مج4، ص 3ç و ما بعدها.
[2] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 163
[3] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 163-164
[4] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 149 و ما بعدها

تارة و يؤيدون العبيديين و أخرى يناصرون الأمويين حسب مقتضى الحال مستهدفين بذلك مجرد البقاء و الاستقرار[1].

عنوان المحاضرة: الدولة الأغلبية في المغربين الأدنى و الأوسط

تأسيس الدولة:

ثار الأهالي على والي القيروان محمد بن مقاتل العكي لكونه حاكما ظلوما طاغيا و أزرهم في ثورتهم عامله على تونس تمام بن تميم، و عندما لم يقدر ابن مقاتل العكي الصمود أمام هذه الثورة فر إلى طرابلس و بعث إلى ابراهيم بن الأغلب حاكم إقليم الزاب بمدينة طبنة يطلب النجدة منه، فلبى ابراهيم النجدة عام 183 هـ/ 799م فأعاد الأمن إلى نصابه، و أعاد ابن مقاتل إلى مركزه موالي على القيروان، و لكن الأهالي كرهوا حكمه و رفضوا إعلان الولاء و الطاعة له و طلبوا من ابراهيم أن يتولى شؤونهم، فكتب بذلك إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أجاب رغبته و رعبتهم و كافأه على حسن بلائه و جهوده، و عقد له و لأبنائه من بعده بولاية العهد على افريقية مقابل خراج سنوي تدفعه إمارته إلى الخليفة ببغداد مقداره أربعون ألف دينار و ذلك عام 184ه/ 800م، فأنشأ ابراهيم بن الأغلب مدينة العباسية[2] على ثلاثة أميل من القيروان و اتخذها عاصمة لدولته[3].

و هكذا ظهرت الدولة الأغلبية التي تمتعت بشبه الاستقلال ذاتي تستظل بالخلافة العباسية، حيث كان الأغالبة يذكرون اسم الخليف على المنابر و يرسلون له خراجا سنويا، و ينقشون اسمه على السكة[4].

و قد امتدت حدود الدولة الأغلبية من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط (الجهة الشرقية منه) و إلى بلاد الزاب في الجنوب، و اتبعت الحكم الوراثي حيث اقتصر الحكم على

---

[1] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 159 و ما بعدها.

[2] تشير إلى أن الأغلبية اتخذوا مدينة العباسية عاصمة أولى لدولتهم و قد سميت بهذا الاسم تعبيرا عن ولائهم للعباسيين ثم سميت بالقصر القديم، و قد نقلوا العاصمة فيما بعد إلى القيروان كما نقلت إلى مدينة رقادة التي سميت بالقصر الجديد في عهد الأمير ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب. (أنظر ابن وردان: تاريخ مملكة الاغالبة، دراسة و تقديم و تحقيق و تعليق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مديولي، القاهرة، 1988م، ط1، ص 40-41، حسين مؤنس، معلم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 97-98

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ح5، ص 313، ابن وردان، المصدر السابق، ص 30 و ما بعدها.

[4] ابن وردان، المصدر السابق، ص 33

أسرة ابراهيم بن الأغلب و حكم منهم أحد عشر أميرا[1]، و استمرت هذه الدولة قائمة حوالي قرن من الزمن حيث قضى عليها العبيديون (الفاطميون) سنة 296 هـ/ 909 م[2].

و اهتم الأغالبة بالجهاد البحري حيث وجهوا حملات عديدة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط، ففتحوا جزيرة صقلية سنة 212 هـ : 827 م بقيادة أسد بن الفرات في عهد الأمير زيادة الله الأول و نشروا الحضارة الإسلامية فيها، كم فتحوا جزيرة مالطة عام 255 ه/ 968 م في عهد الأمير محمد الثاني أبي الغرانيق، كما فتحوا عدة جهات جنوب شرق إيطاليا و أرغموا البابا على دفع غرامة مالية كبيرة لهم سنة 262 هـ/ 876 م[3].

الحياة الاجتماعية:

سكن افريقية في العصر الأغلبي أخلاط بشرية مختلفة و يمكننا أن نميز منها خمسة عناصر: البربر، العرب، الفرس، الروم، و الأفارقة السود، و بالنسبة للبربر فهم يمثلون السواد الأعظم من سكان افريقية، و قد ساهموا في فتح جزيرة صقلية في عهد زيادة الله الأول الذي شغلهم بحرب الروم كي لا يثورون ضده، و فيما يخص العرب فقد كان بنو تميم المستقرون في تونس يتمتعون بامتيازات كبيرة في عصر الأغالبة لانتسابهم إليهم. و على العموم فإن الأغالبة استطاعوا أن يتعايشوا مع مختلف العناصر السكانية رغم بعض الاضطرابات و الثورات التي كانت تقوم هنا و هناك ضد سياسة الحكم، و قد قامت كل طائفة بدورها المنوط بها، و غلب على المجتمع الأغلبي عامة و القيرواني خاصة التدين، و نشأ مجتمع محلي عماده الفقهاء، و القضاة و أهل الزهد[4].

و من أبرز سمات المجتمع الإسلامي في افريقية في العصر الأغلبي تماسك هذا المجتمع في عقيدة واحدة و مذهب واحد، هو مذهب أهل السنة أما الخوارج فكانوا قلة في هذا المجتمع لا تأثير لهم في تطور شؤونه[5].

الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الحياة الاقتصادية بالمغرب الأدنى في العصر الأغالبي فلم تعرف هذه البلاد منذ العصر الروماني مثل هذا الازدهار، ففي ظل توفر الأمن أحس المزارعون بالاستقرار

---

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 95 و ما بعدها,

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 455 و ما بعدها، ابن وردان، المصدر السابق، ص 34، عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1991م، ص 45 و ما بعدها.

[3] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 111 و ما بعدها، عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 220 و ما بعدها.

[4] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 111-112.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 133

النسبي فاهتموا بالزراعة فكثر بذلك الإنتاج، و لم تتعرض افريقية في عهد الأغالبة للقحط و المجاعات إلا في النادر، و من بين المحاصيل الزراعية التي زرعها الناس كثيرا الزيتون و القمح و الفول و الشعير، و قد اشتهرت افريقية أكثر في ذلك العهد بالزيتون و الفواكه[1].

و بالنسبة للصناعة و بفضل توفر المعادن لاسيما الفضة و الحديد و الرصاص خاصة بمدينة مجانة ازدهرت الصناعة في عصر الأغالبة، و أهمها صناعة الآلات الحديدية اللازمة لصناعة السفن و السيوف و السروج و لجم الخيل و صناعة التحف من الذهب و الفضة، و صناعة الزجاج حيث كان في القيروان حيا خاصا بالزجاجيين، كما اهتم الأغالبة بصناعة الخزف التي تأثرت بالتقاليد العراقية حيث كانت ترد على القيروان القراميد المذهبة البغدادية لتزيين قصور الأمراء، كذلك اشتهرت افريقية بصناعة السجاد و المنسوجات و أهمها الثياب السوسية الرفيعة الناصعة البياض[2].

و فيما يخص التجارة فقد ازدهرت بالقيروان على الخصوص و كثرت في أيدي أهلها الأموال بسبب التجارة، و كانت القوافل التجارية تسير في الطرق المؤدية إلى افريقية و المغرب آمنة مما يدل على الرخاء الاقتصادي، و باتخاذ الأغالبة عملة خاصة بهم سهل عليهم المبادلات التجارية مع جيرانهم، كما ساهمت الموانئ المتواجدة في سوسة و تونس و بجاية أيضا في ازدهار التجارة، و قد باع الأغالبة لمصر القمح و الشعير، و باعوا الرقيق السوداني إلى بلاد الشام، كما كانوا يصدرون النسيج و الأبسطة و الأقمشة الفاخرة إلى بغداد، و استوردوا بعض المحاصيل الزراعية من بلاد المشرق مثل القطن و قصب السكر[3].

الحياة الفكرية:

ازدهرت الحياة الثقافية عند الأغالبة ازدهارا عظيما، و كانت القيروان في عهدهم عاصمة المغرب و منبعا للدين و الحضارة الإسلامية و قاعدة الفكر السني المالكي، فقد ظهر علماء كثيرون في القيروان على المذهب المالكي مثل أسد بن الفرات و سحنون بن حبيب و غيرهم، و يذكر المؤرخون بأن الأغالبة أنشئوا بمساجد القيروان حلقات التدريس، و أنشئوا مدارس جامعة أطلقوا عليها اسم مدارس دور الحكمة، و استقدموا لها الأساتذة من المشرق الإسلامي، و ازدهرت بذلك مختلف العلوم العقلية و التقنية مثل علوم القرآن و الحديث، و علم الفقه و التشريع و غيرها، و لم يقتصر الازدهار الثقافي الأغلبي على مدينة القيروان فحسب بل شمل هذا الازدهار مدن أخرى خاصة صقلية حيث نشر المسلمون فيها الحضارة الإسلامية، فجعلت النورمانديين الذين خلفوا المسلمين في حكمها سنة 484 هـ/ 1091 م

---

[1] حسيت مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 113

[2] ابن وزدان، المصدر السابق، ص 42 و ما بعدها، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 133

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 133.

يأخذون عن المسلمين نظامهم الإداري و يقتبسون العناصر الأساسية للثقافة الإسلامية في حياتهم الفكرية، كما برز جامع الزيتونة بتونس الذي أنشأه الوالي عبد الله بن الحبحاب سنة 114ه/ 732 م و طوره الأغالبة و جعلوه منارة للعلم[1].

العلاقات الخارجية:

بطبيعة الحال فقد كانت علاقة الأغالبة بالعباسيين علاقة ولاء لأن دولتهم تابعة للخلافة العباسية و تتمتع بشبه استقلال ذاتي، و كانت علاقتهم بالأمويين في الأندلس امتدادا لعلاقة العباسيين بالأمويين، فقد تميزت بالعداء الشديد وصلت إلى حد الإغارة على أملاك الأغالبة و تخريب مدنها، و إن كنا مع ذلك نذكر مساعدة أسطول الأمويين في الأندلس للأغالبة أثناء فتح صقلية[2].

و فيما يخص علاقتهم مع العبيديين (الفاطميين) فهي علاقة عداء و حروب، و معلوم بالضرورة أن الفاطميين هم الذين أسقطوا دولة الأغالبة بصفة نهائية سنة 296ه/ 909 م و ملكوا أراضيها[3].

و بالنسبة لعلاقة الأغالبة مع دولة الطولونيين بمصر، كانت ودية على اعتبار أن كلا الدولتين تخضعان للخلافة العباسية و تقر بسلطانها و تدفع لها قدرا من المال، و لم تحدث بينهما حروب إلا في سنة 267 هـ/ 881 م حينما قاد العباس بن أحمد بن طولون حملة عسكرية للاستيلاء على افريقية و لكن الأغالبة استطاعوا هزيمته و انتهت الحملة بالفشل[4].

و عن علاقة الأغالبة بالعالم المسيحي فقد كانت شديدة العداء، و قد بدأ هذا العداء سنة 206ه/ 821 م حيث شنت سفن الأغلبية عدة غارات على سردينية عادت محملة بالغنائم، و شن الفرنجة بدورهم غارات على افريقية، و وصلت غاراتهم حتى مشارف أبواب القيروان، و اشتد العداء بينهم بعد حملة الأغالبة على صقلية و استيلائهم عليها سنة 212 ه/ 827م و عبورهم مشيق مسينا إلى شبه الجزيرة الإيطالية التي كان يخضع معظمها للإمبراطورية الكارولنجية[5].

عنوان المحاضرة: الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب الإسلامي

بداية الدعوة و تأسيس الدولة:

---

[1] ابن وردان، المصدر السابق، ص 25 و ما بعدها، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 111 و ما بعدها.
[2] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 136-137
[3] عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 309 و ما بعدها.
[4] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 137 و ما بعدها.
[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 129 و ما بعدها.

تمكن الداعي أبو عبد الله الشيعي من دخول بلاد المغرب الإسلامي في حدود سنة 288 ه/ 901 م مع جماعة من قبيلة كتامة تعرف عليها في الحج[1]، و دخل معهم إلى بلادهم بالمغرب الأوسط في زي معلم القرآن، و لما استقر به المقام و كون جيشا قويا أفصح عن دعوته و شرع في تهيئة الأرضية لتأسيس دولة على المذهب الشيعي، ثم أرسل إلى إمامه عبيد الله المهدي الذي كان متخفيا إلى بلاد المغرب فاستقر بالقيروان، و عندما أحس بالخطر فر إلى سلجماسة بالمغرب الأقصى و دخلها في زي التجار، و بقي فيها يتحرك كما يريد إلى أن وصل الأمر إلى الخليفة العباسي و الأغالبة يخبرون بني مدرار بأمر هذا الرجل و خطورته فألقوا عليه القبض و سجنوه، و لما تمكن أبو عبد الله الداعي من الانتصار على الأغالبة سنة 296 ه/ 909 م توجه بعساكره إلى سلجماسة و في طريقه أطاح بالدولتين الرستمية و الإدريسية و حاصر سلجماسة مدة طويلة و في النهاية دخلها و أخرج عبيد الله المهدي من السجن و عاد به إلى القيروان، و بايعه رفقه جيشه بالإمامة و بذلك تظهر الدولة العبيدية (الفاطمية) للوجود، و التي اتخذ حكامها من مدينة المهدية بالمغرب الأدنى عاصمة لدولتهم[2].

و قد أسقطت هذه الدولة كل دول بلاد المغرب الأغلبية، الرستمية، المدرارية و الإدريسية و ملكت بذلك بلاد المغرب قاطبة و هذا في حدود 296 ه/ 909 م، كما ملكت جزيرة صقلية، و قد اتبعت هذه الدولة النظام الوراثي حيث كان الحكم في عقب عبيد الله المهدي، و اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبا رسميا للدولة[3]، و ادعى مؤسسها بأنه من نسل فاطمة الزهراء كما ادعى بأنه المهدي المنتظر و أنه الإمام المعصوم لكي يخدع الناس و يستميلهم إليه، و ينفي بعض المؤرخين انتسابه لفاطمة الزهراء و قيل أنه ابن ميمون القداح الديصاني المجوسي[4].

ثورة السنيين و الإباضيين على العبيديين:

عندما استقر المقام بعبيد الله المهدي في بلاد المغرب و أحس بجفاء من أبو عبد الله الداعي و أخيه قتلهما و أظهر مذهبه الشيعي الإسماعيلي الرافضي[5]، فوجد معارضة شديدة من السنيين و الخوارج الذين قاموا بثورات عديدة ضد هؤلاء الظلمة، و أشهرها ثورة أبو

---

[1] جاء أبو عبد الله الداعي إلى بلاد المغرب استجابة لأمر معلمه باليمن أبن حوشب الذي سمع بوفاة كبار دعاة الشيعة الحلواني و سفيان في بلاد المغرب، فأعطاه مالا و قال له " إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني و أبو سفيان و قد ماتا و ليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك ". أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 450، عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 41-42.

[2] ابن الأثير، المصد السابق، مج6، ص 450 و ما بعدها، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 149 و ما بعدها، علي لحسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م، ص 31 و ما بعدها.

[3] علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص 56-57

[4] عن مشكلة النسب الفاطمي لعبيد الله المهدي، (أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 446 و ما بعدها).

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 461 و ما بعدها، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 164-165

يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الملقب بصاحب الحمار، و قد دامت ثورته أربع سنوات (322-336 ه/ 944-948 م) و قامت هذه الثورة للأسباب التالية:

- فرض المذهب الإسماعيلي الشيعي الرافضي على المغاربة بالقوة.
- محاربة المذهب السني و الإباضي معا.
- إجماع علماء القيروان و سائر بلاد المغرب على تكفير العبيديين و أنهم زنادقة.
- افتاء علماء القيروان بجوار التعاون مع الخوارج الإباضية ضد الزنادقة العبيديون.
- ارتكاب العبيديين أعمال إجرامية شنيعة ضد أهل السنة ببلاد المغرب، فقد قتلوا الكثير من العلماء و الفقهاء و الرعية، و من بين أعمالهم الإجرامية التي لا تعد و لا تحصى أن الإمام الثاني القائم بن عبيد الله المهدي كان مناديه ينادي أمام الملأ " العنوا الغار و ما حوى" و هم يقصدون غار ثور الذي كان فيه النبي محمد صلى الله عليه و سلم و أبي بكر الصديق متخفيان في هجرتهما إلى المدينة المنورة، كما كان أتباعه يعلقون رؤوس الحمير في الحوانيت و يكتبون عليها أسماء الصحابة[1].

و عن هذه الثورة التي تزعمها الخارجي مخلد بن كيداد و ساعده في ذلك السنيون فقد كانت ثورة كبيرة قام خلالها مخلد بن كيداد بحصار المهدية عاصمة العبيديين مدة أربع سنوات (322-336 هـ/ 944-948م) و كاد أن يهزمهم لطول مدة الحصار و تضرر أهل المدينة بسبب الجوع، و لم يتمكن العبيديون من القضاء على هذه الثورة إلا عندما انفضت القبائل الزناتية و تخلت عن نصرة مخلد بن كيداد الذي اضطر إلى فك الحصار و هذا في عهد الخليفة العبيدي المنصور الذي خلف والده القائم المتوفي سنة 334 ه/ 946م أثناء الحصار، و قد لحق المنصور جيش مخلد بن كيداد عندما فض الحصار و ألحق به الهزيمة، و ألقي القبض على زعيمهم مخلد بن كيداد و قام بقتله و بذلك تمكن العبيديون من قمع أخطر ثورة ضدهم في بلاد المغرب و ربغم انتصار العبيديون في هذه الثورة في آخر المطاف إلا أنهم أخذوا درسا كبيرا حيث تأكد لهم أنه لا مقام لهم في بلاد المغرب لذا سعوا جاهدين للانتقال إلى بلاد المشرق الإسلامي[2].

انتقال العبيديون إلى مصر (المشرق الإسلامي):

جعل العبيديون من بلاد المغرب منطلقا لبناء دولتهم و لكن كان هدفهم الأسمى هو الانتقال إلى بلاد المشرق لمقاومة العباسيين و القضاء على دولتهم و الاستيلاء على الحرمين

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 188-189، ابن عذارى، المصدر السابق، ح1، ص 216، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 180-181

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج 6، ص 189 و ما بعدها، ابن عذارى، المصدر السابق، ح1، ص 216 و ما بعدها، عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 65 و ما بعدها.

الشريفين، فكانت لحكام الدولة العبيدية العديد من المحاولات للاستيلاء على مصر و قد تكللت محاولاتهم بالنجاح في عهد إمامهم الرابع المعز لدين الله الذي أرسل جيشا ضخما بقيادة جوهر الصقلي من المغرب إلى مصر يوم السبت 14 ربيع الأول سنة 358 هـ/ 969 م و قد تمكن هذا الجيش من الاستيلاء على مصر مستغلا الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية المتردية فيها بعد موت حاكمها " كافور الإخشيدي" سنة 355 ه/ 966 م، و قد انتقل المعز لدين الله العبيدي إلى مصر بعد أربع سنوات من الاستيلاء عليها أي في سنة 362 هـ/ 973 م، و اتخذ من القاهرة عاصمة لدولته، و ترك في بلاد المغرب الزيريون حكاما عليها[1]، و قد عمرت دولتهم في المشرق الإسلامي حوالي قرنين من الزمان حيث سقطت سنة 567 ه/ 1171 م بقيادة صلاح الدين الأيوبي[2].

الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع يسوده الاضطراب و الفوضى نتيجة أعمال العبيديين الإجرامية، و كانت سياستهم تقوم على جشع مالي بالغ، فقد كانوا يحبون المال مقادير طائلة كلها بالظلم و الإيهام، و كانوا يحتجزون الأموال و يستخدمونها في المتاجرة أو شراء جند يقوم بغزوات تعود عليه بغنائم، و لم تكن لديهم أي نية في زيادة عمران المغرب، فلا هم شقوا طريقا و لا أنشئوا سوقا و لا نفعوا قبيلة من القبائل التي هدمتهم، و قد أججوا نيران العصبيات القبلية في المغرب إلى درجة جعلت هذه القبائل تدخل بعضها مع بعض في حروب إبادة، بل هرب بعض زعماء البربر إلى الأندلس ناجين بأنفسهم من صراع القبلية في بلاد المغرب[3].

الحياة الاقتصادية:

و بالنسبة للجانب الاقتصادي يمكن الحديث عن النشاط الصناعي المتمثل في الصناعة الحربية حيث تم صنع السلاح و السفن الحربية في مدينتي بونة و المهدية، كما اهتم العبيديون بصناعة الحديد و الزجاج و النسيج، و قد أمر المعز بنسج البساط العجيب الذي صنع بحرير أزرق ملون مطعم بالذهب فيه صورة الأقاليم و البحار و الأنهار و الجبال و الطرق و فيه صورة الحرمين الشريفين مكتوبة أسماؤها عليها، و فيه هذه العبارة التالية: " مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا إلى حرم الله و إشهارا لمعالم رسول الله في سنة 353 هـ/964م و كانت النفقة عليه اثنين و عشرون ألف دينار. و نشير إلى أن ثورة أبي يزيد مخلد

---

[1] عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 93 و ما بعدها، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 150-151

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج 4، ص 446

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 152-153

بن كيداد التي دامت أربع سنوات أدت إلى تدهور الأحوال الاقتصادية في بلاد المغرب فانهارت الزراعة و تعطلت التجارة[1].

الحياة الفكرية:

لم تكن الحياة الثقافية للعبيديين في بلاد المغري مزدهرة بالأعمال الجليلة من حيث الانجازات الحضارية و النشاطات الثقافية لأنها لم تطل إقامتها في هذه ابلاد، حيث مكثت حوالي ستون سنة فقط، و كانت هذه الفترة معظمها مليئة بالحروب و الفتن فلم يتفرغوا كثيرا للجانب الثقافي بسبب انعدام الاستقرار و الأمن، كما أن الميدان الثقافي لا يزدهر إلا عندما تكون الظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في وضع جيد. و على العموم فقد طبع النشاط الثقافي للعبيديين كثيرا بالجانب المطهبي حيث تعصب هؤلاء لمذهبهم الشيعي و قاموا بنشره بالقوة، و حدثت مناظرات كثيرة بين علماء السنة و نظرائهم الشيعة الإسماعيلية. و كل منشآتهم العمرانية كانت تخدم أساسا أهدافا عسكرية و سياسية و مذهبية مثلما هو الحال لمدن المهدية و المحمدية و المنصورية، و كان القائمون على الدولة يقمعون كل انجاز ثقافي يخالف تعاليم مذهبهم و يتلفونه و من ذلك مثلا ما قاموا به اتجاه مكتبة المعصومة في تيهرت التي لم يترك منها غير تلك الكتب ذات الطابع العلمي و كانت هذه المكتبة تحوي نحو ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع الفنون. و قد عمل حكام هذه الدولة على نشر مذهبهم بواسطة الدعاة و المدارس التي نشأت في ربوع الدولة، و هي المدارس التي عرفت بمدارس الدعوة، كما كان للأدب و الشعر حضوة لدى حكام الدولة و أمرائها حيث كانوا يقرضون الشعر و ينذوقونه خاصة إمامهم الأول عبيد الله المهدي و قيل عن المعز بأنه كان يتقن عدة لغات العربية و البربرية و اللاتينية و الصقلية و الإسبانية و السودانية، و تميز أيضا النشاط الثقافي بكثرة الجدل و المناظرات بين علماء الشيعة و معارضيهم من السنة، فكان ذلك اول عهد لبلاد المغرب بالفلسفة و مباحثها الممتزجة بعقائد الشيعة[2].

العلاقات الخارجية:

معلوم بالضرورة ان علاقة العبيديين (الفاطميين) بالخلافة العباسية هي علاقة عداء شديد، و هو عداء قديم يعود جذوره إلى الصراع العلوي العباسي في المشرق الإسلامي، فالعلويين يرمون العباسيين بالخيانة و يتهمونهم بسرقة الحكم منهم بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132 هـ /149م. فانتقل هذا الصراع إلى بلاد المغرب بعد ان قام العبيديون بإسقاط دولة

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 182.

[2] سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ت، ج3، ص 135 و ما بعدها، يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في افريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن الخامس الهجري (450-90 هـ)، جامعة أم القرى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مكة المكرمة، 2000م، ط1، ج1، ص 171 و ما بعدها.

الأغالبة حليفة العباسيين و الاستيلاء على كامل بلاد المغرب و تطلع هؤلاء للاستيلاء على بلاد المشرق الإسلامي.

و كانت علاقتهم مع الأمويين في الأندلس علاقة عداء و حرب أيضا، نتيجة الاختلاف المذهبي فالفاطميين شيعة روافض و الأمويين سنة، و كانت بلاد المغرب ميدان للصراع بين الدولتين حيث عملت كل دولة على استمالة القبائل البربرية إلى صفها خاصة قبيلة زناتة في غرب بلاد المغرب.

و حاول كل من الطرفين إرسال دعاته و رجاله للتعرف على مواطن الضعف في بلاد الآخر و عمل الفاطميين على فتح أبواب المهدية و القيروان أمام اللاجئين الأندلسيين، و تشجيع الثوار في الأندلس و مساندتهم فأيدوا الثائر الأندلسي عمرو بن حفصون إذ أمده الخليفة عبيد الله المهدي بالهدايا و الذخيرة و الأسلحة[1].

و فيما يخص علاقتهم مع الدول الأوروبية، فقد تغيرت الأحوال، فبعدما كانت علاقة الأغالبة بالدول الأوروبية مبنية على التوثب و الهجوم، تحول الأمر مع العبيديين إلى الدفاع و التسليم، فقد اضطربت الأحوال السياسية في جزيرة صقلية خلال الحكم العبيدي ما جعل النورمان يغيرون عليها و تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 484 هـ /1091م[2].

عنوان المحاضرة: الدولة الأموية في الأندلس

تأسيس الدولة:

في سنة 132 هـ /749 م تمكن العباسيون من إسقاط الخلافة الأموية بدمشق في معركة الزاب الشهيرة، حيث قضوا على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، و حاول العباسيون متابعة أفراد البيت الأموي الحاكم في كل مكان و القضاء عليهم نهائيا، لكن واحد منهم و هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية و الذي يدعى عبد الرحمن الداخل كما يلقب بصقر قريش تمكن من النجاة بنفسه و الوصول إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب التي أقام بها مدة من الزمن ثم انتقل إلى بلاد الأندلس فاستغل أوضاعها السياسية المضطربة و قضى على والي العباسيين عام 138 هـ /756م فبويع أميرا جديدا للأندلس في مدينة قرطبة التي اتخذها عاصمة لدولته و هو ابن خمس و عشرين سنة[3].

---

[1] سامية مصطفى سعد: العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية (399-300 هـ /912-1008م) عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2000م، ط1، ص 79 و ما بعدها

[2] عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 335.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 122 و ما بعدها، ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 40 و ما بعدها، عبد اللطيف عبد الهادي، الأندلس الإسلامية سياسيا و حضاريا، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2011م، ص 77 و ما

و قد اتبعت الدولة الأموية في الأندلس قيامها سنة 138 هـ /756م إلى غاية سقوطها سنة 422 هـ /1031م النظام الوراثي، حيث كان الحكم في نسل عبد الرحمن الداخل، و قد برز منهم سلاطين أقوياء اشهرهم على الإطلاق عبد الرحمن الداخل (138-171 هـ /756-787 م) عبد الرحمن الأوسط (238-206 هـ/ 821-852 م) و عبد الرحمن الناصر (300-350 هـ /912-962م) و قد تلقب هذا الأخير بلقب أمير المؤمنين سنة 316 هـ/ 928م أي أعلن نفسه خليفة و اتخذ لقب الناصر لدين الله، كما عرف عبد الرحمن الناصر باسم عبد الرحمن الثالث، و كان الأمويين قبله لم يتخذوا لقب الخليفة أو أمير المؤمنين مثلما هو معهود لدى العباسيين في بغداد[1].

و حكم الأندلس بعد عبد الرحمن الناصر ولده الحكم الملقب بالمستنصر (350-366 هـ / 962-977م) ثم ولد المستنصر، الطفل هشام بن الحكم حيث تولى عرش الأندلس تحت وصاية أمه سنة 366 هـ /977م و هو ابن الحادي عشر سنة و ثمانية أشهر، و قد تعاونت أمه مع المنصور محمد أبن أبي عامر الذي شغل منصب الوزارة ثم الحجابة في قتل عم ولدها هشام و رئيس وزرائه فاستتب الأمر لها، و للمنصور بن أبي عامر الذي أصبح الوريث الشرعي للدولة الأموية حيث استغل صغر سن هشام بن الحكم و استأثر بالحكم، و بذلك يبدأ عهد الدولة العامرية في الأندلس بقيادة المنصور بن أبي عامر الذي لقب نفسه بالملك الكريم المنصور، و اصبحت الدولة الأموية في عهده قوية جدا و استعادت هيبتها و مكانتها من جديد، و قد تولى أمر الحجابة بعده ولديه عبد الملك ثم عبد الرحمن الذي طلب من هشام بن الحكم أن يجعله وليا لعهده فأجابه الخليفة هشام لضعفه فكان ذلك سببا في خروج أكابر الدولة عليه و قاموا بخلعه و مبايعة محمد بن هشام الملقب بالمهدي خليفة عليهم و كانت الدولة في عهده في حالة ضعف شديد و فوضى، فتمت تصفيته سنة 400 هـ /1010م و مبايعة هشام بن الحكم مرة أخرى و استمر الضعف و الاضطراب في البيت الأموي إلى غاية سقوطها نهائيا سنة 422 هـ /1031م[2].

و نقسم فترة حكم الأمويين في الأندلس إلى ثلاثة مراحل رئيسية: فالأولى هي مرحلة الإمارة من (138-316 هـ /756-928م) و الثانية هي مرحلة الخلافة (316-366 هـ /928- 977 م) أما الثالثة فهي مرحلة الدولة العامرية (366-422 هـ /977-1031م) و يعتبر عهد الأمويين في الأندلس الذي استمر حوالي ثلاثة قرون أزهى فترات حكم المسلمين

بعدها، عبد القادر قلاتي: الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، دمشق، ط1، ص 22 و ما بعدها.

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 198-199، عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – القسم الثاني- الخلافة الأموية و الدولة العامرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط4، ص 373 و ما بعدها، عبد اللطيف عبد الهادي، المرجع السابق، ص 168 و ما بعدها.

[2] محمد عبد الله عنان، الخلافة الأموية و الدولة العامرية، ص 482 و ما بعدها.

في هذه البلاد حيث عرفت هذه الدولة تطورا كبيرا في جميع الجوانب السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الفكرية، الدينية و العسكرية. ففيما يخص الجانب السياسي و الإداري فقد كان منظما باتقان حيث ظهر منصب الخليفة، الحاجب، الوزير ذي الوزارتين، صاحب الشرطة، صاحب المدينة، صاحب المظالم، المحتسب و القاضي (القاضي الشرعي و المدني) كما اهتم الأمويون بالجانب العسكري و أعدوا الجيوش و جهزوا الأساطيل من أجل حماية حدود دولتهم.

الحياة الاجتماعية:

تركيبة المجتمع الأندلسي كانت عبارة عن خليط من الأجناس البشرية يتقدم هذه الأجناس البربر الذين فتحوا الأندلس و عمروها على إثر قرب بلادهم المغرب من الأندلس، و يتكون هؤلاء من البتر و البرانس و قد سكن أغلبهم في الهضاب الوسطى و القسم الجنوبي من الشواطئ الغربية للأندلس لأن المناخ و طبيعة الأرض تشبه بلادهم في المغرب، العنصر الثاني هم العرب القيسيين و اليمنيين الذين سكنوا المنطقة الضيقة من الشواطئ الشرقية و الجنوبية للأندلس ثم في سهل قرطبة لأن هذه الأماكن تشبه بلادهم في المشرق، و إلى جانب هؤلاء يتواجد المولودين الذين اعتنقوا الإسلام و هم مزيج من أجناس مختلفة من اليونان و القوط و الفرنجة و الجلالقة، بالإضافة إلى هؤلاء يوجد اليهود الذين حافظوا على يهوديتهم و كذلك النصارى و أكثرهم من الكاثوليك، و قد تمكنت السلطة المركزية من دمج هذه العناصر فيما بينها باللين تارة و باستعمال القوة عند الضرورة لكي تقمع أي تمرد أو عصيان، و قد أثر المسلمون في أخلاق غيرهم فعلموهم التسامح الديني حتى أنهم كانوا يسمحون للأساقفة بعقد المؤتمرات الدينية كمؤتمر إشبيلية النصراني سنة 166 هـ /782 م و مؤتمر قرطبة سنة 238 هـ /852 م، كما أنهم تركوا لهم حرية بناء الكنائس و التجارة و تقلد بعض الوظائف الهامة، و رأى هؤلاء الفرق الشاسع بين المدنية التي يحملها المسلمون و ما كان للقوط من الثقافة المتأخرة[1].

الحياة الاقتصادية:

كانت مزدهرة ازدهارا كبيرا، ففي الميدان الزراعي عرفت الأندلس بالحدائق الغناء في قرطبة غرناطة و الزهراء و غيرها، و استغل الأندلسيون الأراضي الزراعية استغلالا مميزا بإصلاحها و تنقيتها خاصة في المناطق الجنوبية الخصبة، و أدخلوا غلى بلادهم

[1] محمد سعيد الدغلي: الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي و في الأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة، 1984م، ط1، ص 15 و ما بعدها، عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص 95. صفي الجين محي الدين، الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية (422-138 هـ /755-1031م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، 2015-2016م، ص 37 و ما بعدها، منى حسن محمود، المرجع السابق، ص 207.

زراعة قصب السكر، الأرز، القطن، الموز و التوت، و قد أخذت إلى أوروبا منهم أساليب الزراعة و حفر الترع و الخلجان و نظام الري. و قد تعرضت الأندلس إلى بعض الأزمات الاقتصادية الشديدة فكان هناك جفاف في الموارد الزراعية، و أشد هذه الأزمات تلك التي وقعت في السنوات الأخيرة لحكم الأمير محمد الأول حوالي سنة 270 هـ /883 م و امتدت حتى عهد عبد الرحمن الناصر أوائل القرن الرابع هجري و كادت تقضي على عدد كبير من الفقراء.

و بالنسبة للصناعة فقد اشتهرت الأندلس بصناعة السجاد، الأثاث، النقود، الحلي و السكر و ازدهرت صناعة الجلود و الزجاج المزوق و فن التكفيت على الفولاذ و صناعة الحديد و النحاس، و قد صارت الحرف و منتجات الصناعة في عهد عبد الرحمن الناصر و المنصور بن أبي عامر، أتقن و أحسن ما في أوروبا. و ساعدت كثرة الغابات المنتشرة في بلاد الأندلس على وجود صناعة الأخشاب و صناعة النجارة، و قد احترف سكان بعض المناطق الجنوبية هذه الصناعة، و اهتم الأمويون أيضا بصناعة السفن و المراكب حيث اتخذ عبد الرحمن الداخل سنة 144 هـ 762 م دور الصناعة في اشبيلية و المرية و قرطجنة، و كان كثير من سكان المناطق التي تقوم بتربية الماشية يشتغلون في صناعة الصوف مثل اشبيلية و جيان و شلطيش، أما المنسوجات الحريرية فقد اشتهرت بها مدينة قرطبة[1].

و فيما يخص التجارة فقد اوثق الأمويون في الأندلس من صلاتهم التجارية بالأمم الأخرى نتيجة تطور أساطيلها البحرية، فكانوا يصدرون منتجات المناجم و الأسلحة و النسيج و الجلود و السكر إلى أوروبا و بلاد المشرق، و قد صدروا إلى المغرب الأقصى عن طريق موانئ البحر الأبيض المتوسط و المحيط الأطلسي الزئبق، الحديد، الرصاص، و الصوف و جلب المغرب الأقصى الأنسجة من بلنسية، و الحرير من مدينة البيرة، و الزيت و القطن من اشبيلية، و استوردت سلجماسة الثياب و المطرزات القطنية و الحريرية و الكتانية من قرطبة، و في المقابل جلب الأمويون من ميناء مدينة سلا انواع من الماشية كالغنم و الماعز و الأبقار، و من سلجماسة جلبوا القمح و السكر و التمور، و من السوس الأقصى قصب السكر و التمر، و من درعة بذور الحناء، و استوردوا من بلاد السودان الغربي عن طريق موانئ المغرب الأقصى الذهب و الصمغ و أنواع الحيوانات كالطواويس و الببغاء و غيرها[2].

الحياة الفكرية:

---

[1] منى حسن محمود، المرجع السابق، ص 206 و ما بعدها.

[2] بن علي محمد البياتي: النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال الفرن (5-3 هـ /9-11م)، رسالة ماجستير آداب في تاريخ المغرب الإسلامين جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، 2004م، ص 82 و ما بعدها.

استطاع المسلمون في الأندلس خلال العهد الأموي أن يعمروا خراب المدن و يقيموا أفخم المباني في قرطبة و غرناطة و إشبيلية و غيرها من المدن، قد أنشئوا جامع قرطبة الشهير، و قصور غرناطة الفخمة و منارات إشبيلية و غيرها، كما تفرغ أهل الأندلس لدراسة العلوم و الآداب و ترجمة كتب الإغريق و إنشاء الجامعات التي ظلت ملجأ الثقافة في أوروبا زمنا طويلا، و كانت بلادهم أشبه بمجامع علمية لكثرة ما استجلبوا من العلماء من مختلف الآفاق، و قد أكثروا من إنشاء المدارس و المكتبات و اجتمع في مكتبة المستنصر بن الناصر حوالي أربعمائة ألف مجلد جعلوها في قاعات خاصة في قصر قرطبة و أقاموا عليها خازنا و وضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدى. كما درس الأندلسيين مختلف العلوم الرياضية و الفلكية و الطبيعية و الكيميائية و الطبية بنجاح، بالإضافة إلى علوم الشريعة الإسلامية التي ازدهرت كثيرا فظهر علماء كثيرون على مذهب الإمام مالك الذي يعد المذهب الرسمي للدولة الأموية بالأندلس منهم يحي بن يحي الليثي و ابو بكر الطرطوشي و غيرهم. كما اهتموا بالفنون و الآداب و برعوا في الشعر و الموسيقى و الغناء فكان من أدبائهم ابن زيدون و ابن عبد ربه و عباس بن فرناس و زريات و غيرهم[1].

العلاقات الخارجية:

سبق و أن تناولنا علاقة الأمويين في الأندلس بدول المغرب خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين و التي تتمثل في الدولة المدرارية، الرستمية، الإدريسية و الأغلبية، و تحدثنا عن علاقتها بالدولة العبيدية (الفاطمية) و ذكرنا مرارا أن علاقتها مع الخلافة العباسية بأنها علاقة حرب و عداء شديد.

و فيما يخص علاقة الأمويين بالممالك النصرانية في شمال الأندلس و كذلك الدول الأوروبية، فقد تراوحت بين السلم و العداء، و لكن يغلب عليها طابع العداء و قد وقعت بينهما حروب عديدة، و لكن لم تمنع هذه الحروب على وجود علاقات ودية فقد حرس الأمويون على عدم الاعتداء عموما و الاستعداد لعروض الصداقة و قد وردت أحيانا من الممالك النصرانية سفارات ودية محملة بالهدايا و بادلهم الأمويون بدورهم الهدايا، و توسطت بعض الدول الأوروبية كألمانيا لدى الأمويون في حل بعض المشاكل كتلك السفارة الألمانية التي أرسلها أوتو الأول (Otto I) إلى عبد الرحمن الناصر لكبح جماح الأندلسيين في دولة جبل القلال (فراكسنتيوم) جنوبي فرنسا، و في سنة 365 هـ /975م قدمت إلى قرطبة سفارة تراستها أم لذريق بن بلاكش (Rodrigo velazquez) أحد حكام غرب جليقية فأكرمها الخليفة الحكم المستنصر غاية الإكرام حيث خرج لتلقيها و احتفل لقدومها في

[1] عبد اللطيف عبد الهادي، المرجع السابق، ص 273 و ما بعدها، ريما محمود درنيقة، الوجيز في التاريخ السياسي و الحضاري للأندلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2013م، ط1، ص 77 و ما بعدها.

يوم مشهود، فوصلها و اسعفها و عقد السلم لابنها كما رغبت و أحبت، و دفع لها مالا تقسمه بين وفدها، و حملت على بغلة فارهة بسرج و لجام مثقلين بالذهب و الفضة و ملحفة ديباج[1].

عنوان المحاضرة: دويلات الطوائف في الأندلس

ظهرت دويلات الطوائف بالأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422 هـ /1031م[2] حيث أستقل كل أمير أو وزير أو قاضي بمدينة من المدن و أعلن نفسه حاكما عليها، و التفت هذه الدويلات إلى محاولة التوسع على حساب أراضي و ممتلكات المدينة المجاورة مستعينة بالنصارى الصليبيين، فولد كل هذا صراعا و عداء انتهى في كثير من الأحيان إلى معارك و حروب، و يعد هذا العهد من تاريخ الأندلس أكثر الفترات تعقيدا و تشابكا و اضطرابا[3].

و تقلب هؤلاء الأمراء المتغلبون بألقاب الخلافة كالمتوكل و المعتضد و المعتمد و المستعين و غيرها[4] فجلب لهم ذلك هجاء الشعراء حيث وصفهم ابن رشيق القيرواني ساخرا منهم بقوله:

مما يزهدني في أرض أندلس **** سماع مقتدر فيها و معتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها**** كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد[5]

و قد بلغ عدد دويلات الطوائف حوالي ثلاثة و عشرون دويلة، تتفاوت فيما بينها من حيث القوة و الضعف برزت منها سبع دول رئيسية غلبت على جميع الدويلات الأخرى أو تحالفت معها، و تتمثل هذه الدويلات في دولة بني ذي النون بطليطلة، دولة بني جهور بقرطبة، دولة بني عباد بإشبيلية، دولة بني هود بسرقسطة، دولة بني الأفطس ببطليوس دولة بني زيري بغرناطة دولة بني عامر ببلنسية و غيرها من الدول[6].

---

[1] عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897 هـ /711-1492م)، دار القلم، بيروت، 1981م، ط2، ص 318 و ما بعدها

[2] ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي – أو- تتمة المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ط1، ج1، ص 319، علي حبيبة: مع المسلمين في الأندلس، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م، ص 229.

[3] محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس 91-898 هـ /710-1492م، دار النفائس، بيروت، 2008م، ص 427.

[4] وصف ابن جبير في رحلته سلاطين مدينة دنيصر القريبة من مدينة الموصل بالعراق بأوصاف مذمومة و شبههم بأمراء الطوائف بالأندلس حيث قال: كلهم قد تحلى بحلية تنسب إلى الدين، فلا تسمع إلا ألقابا هائلة، و صفات لذي التحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السوقة و الملوك، و اشترك فيها الغني و الصعلوك، ليس فيهم من اتسم بسمة به تليق، أو اتصف بصفة هو بها خليق). (أنظر: ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د ت، ص 216.)

[5] المراكشي، المعجب، ص 53، ابن أبي الضياف: اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار، الدار التونسية، تونس، 1976م، ج1، ص 69-70، شكيب ارسلان: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ج1، ص 248.

[6] ابن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله – أو- كتاب التبيان، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م، ص 16 و ما بعدها، المراكشي، المعجب، ص 44 و ما بعدها.

و الملفت للنظر في تاريخ الأندلس في تلك الفترة أن الأندلس الإسلامية كانت في حالة تمزق و صراع بينما كانت الممالك النصرانية في شمال الأندلس في حلة وحدة و قوة بزعامة القشتالي ألفونسو السادس الذي راح يهدد دويلات الطوائف بالسقوط و الفناء، و شن عليهم حروبا طاحنة عرفت بحروب الاسترداد أو الحروب الصليبية، و قد تكللت مساعيه بالنجاح عندما احتل مدينة طليطلة يوم 27 محرم سنة 478 هـ /25 ماي 1085 م[1]، و بذلك سقطت إحدى حواضر بلاد الأندلس الكبرى و قلاعها الحصينة، و استرجع النصارى عاصمة القوط القديمة بعد أن حكمها المسلمون حوالي أربعة قرون[2].

و كان سقوطها نذيرا بوقوع كامل بلاد الأندلس في ايدي النصارى، حيث اشتد الخطر على المسلمين أكثر من ذي قبل بتعاظم حركة الاسترداد، و تحمس القوى النصرانية بقيادة ألفونسو السادس لطرد المسلمين نهائيا من بلاد الأندلس، كما كان لسقوطها وقع كبير في جميع أنحاء العالم الإسلامي و ادرك المسلمون ان إخوانهم في الأندلس يعيشون مأساة حقيقية، و قد اجتهد الشعراء في وصف هذه المأساة، منهم الشاعر الأندلسي عبد الله بن فرج السحصبي المشهور بابن العسال بقوله:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم**** فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه و أرى**** ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

و نحن بين عدو لا يفارقنا**** كيف الحياة مع الحيات في سفط[3]

و يعتبر سقوط طليطلة من بين الأسباب التي عجلت بتدخل المرابطين لنجدة إخوانهم في بلاد الأندلس الذين استصرخوهم، و رأوا فيهم السبيل إلى النجاة[4].

و قد لبى المرابطون دعوة أهل الأندلس و عبر أميرهم يوسف بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس لأول مرة سنة 479 هـ /1086م، و قاد الجيوش المرابطية و الأندلسية معا و ألحق هزيمة نكراء بألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة الزلاقة الشهيرة التي حدثت يوم الجمعة 12 رجب سنة 479 هـ /23 أكتوبر 1086 م[5]، و قد عمت الأفراح أرجاء العالم

---

[1] ابن الآثار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق أفريد بلن و ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1919م، ص 29، المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ /1988م، مج4، ص 352، ج.س. كولان، الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ابراهيم خورشيد و آخرون

[2] Jean Brignon et autres: Histoire du Maroc, librairie Nationale, Casablanca, 1976, P 90.

[3] ابن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، مج7، ص 28، المقري، نفح الطيب، مج4، ص 352.

[4] E.Levi- Provenàal: Islam d'occident, librairie Orientle et Américaine, Paris, 1948, P 111.

[5] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 29، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه و وضع مقدمته و حواشيه محمد عبد الله بن عنان، مكتبة الحانجين القاهرة، 1394 هت /1974م، ط2، ج4، ص 351 (في حين يرى ابن

الإسلامي و أعتقت الرقاب و وزعت الصدقات و شبه يوم الزلافة بيوم اليرموك و القادسية، و ارتفع شأن المرابطين و أميرهم يوسف بن تاشفين، و أثنى عليه العلماء و الفقهاء ثناء كبيرا خاصة الإمام أبو حامد الغزالي الذي سر بهذا النصر و اعتبر الأمير يوسف المسلم المثالي الذي سيعيد للإسلام سابق عزه و ينقذه مما تردى فيه[1].

و قبل عودة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب نصح امراء الطوائف بعدم النزاع و الفرقة بينهم، و لكن هؤلاء الأمراء عادوا إلى سيرتهم الأولى من النزاع و الاستعانة بالصليبيين على بعضهم البعض، فانتهز ألفونسو السادس الفرصة من جديد و هدد مدن شرق الأندلس بالسقوط إنطلاقا من حصن لبيط[2] الذي كانوا يشنون منه هجماتهم على بلاد المسلمين و يتحصنون به، و عندما لم يستطع أمراء الطوائف رد عنوان ألفونسو السادس استنجدوا للمرة الثانية بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين فعبر للمرة الثانية سنة 481 هـ /1088م و قاد جيوش المسلمين في معركة عرفت بمعركة حصن لبيط و تمكن من استرجاعه و طرد النصارى منه[3].

عاد الأمير يوسف بن تاشفين مجددا إلى بلاد المغرب، و رجع هؤلاء الأمراء مجددا غلى صراعاتهم و التعاون مع النصارى ضد بعضهم البعض، فأفتى فقهاء الأندلس و علماءها و كذلك علماء المغرب و المشرق الإسلاميين امثال حجة الإسلام ابو حامد الغزالي و كبير فقهاء المذهب المالكي أبو بكر الطرطوشي بشرعية خلع أمراء الطوائف من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لأن خيانتهم كانت واضحة للعيان[4]، فعبر الأمير يوسف للمرة الثالثة إلى الأندلس و قضى على جميع دويلات الطوائف سنة 483 هـ /1090 م و ألحق

الأثير ان المعركة حدثت يوم الجعة العاشر من رمضان سنة 479 هـ /17 ديسمبر 1086م). (انظر الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966م، مج10، ص 154).

[1] حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص 284

[2] حصن لبيط (Aledo) هو حصن منيع على رأس جبل شاهق بناه ألفونسو السادس غثر استيلائه على مدينة طليطلة سنة 478 هـ /1085 م، يقع بين مدينتي مرسية و لورقة و هو أقرب إلى هذه الأخيرة بينه و بينها مسيرة نصف يوم، و هو يتوسط بلاد المسلمين في شرق الأندلس مما سهل سراياه أن تشن غاراتها على الأراضي الإسلامية في تلك الأنحاء (أنظر: الحلل الموسية في ذكر الأخبار المراكشيةن تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399 هـ /1979م، ط1، ص 67، ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 352ن دوزي رينهرت، المسلمون في الأندلس، ترجمة و تعليق و تقديم حسن الحبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م، ج3، ص 137-138، محمد بن عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص 334 و ما بعدها)

[3] ابن أبي زرع، روض الفرطاس، ص 152-153، السلاوي، الاستقصا، ج2، ص 46 و ما بعدها.

[4] حامد محمد خليفة، يوسف بن تاشفين موحد المغرب و قائد المرابطين و منقذ الأندلس من الصليبيين 400-500 هـ /1009-1106م، دار القلم، دمشق، 2003م، ط1، ص 305.

الأندلس بدولة المرابطين ما عدا إمارة بني هود بسرقسطة التي أعلنت الهدنة و السلم مع المرابطين و بذلك تنتهي فترة دويلات الطوائف بالأندلس[1].

عنوان المحاضرة: الدولة الزيرية في المغرب الإسلامي

نشأة الدولة:

ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربرية و زعيمها الأكبر هو زيري بن مناد الصنهاجي الذي قيل بأنه ساعد العبيديين (الفاطميين) في القضاء على ثورة صاحب الحمار فأكرمه المنصور بالله بن القائم العبيدي و عينه أميرا على قومه لجهوده و خدماته و ولاه أمر تيهرت و باغاية فأمنت دولة العبيديين يومئذ من أخطار سكان هذه النواحي من بني يفرن الزناتيين. و بعد حوالي ستة و عشرين سنة من الحكم قتل زيري بن مناد في رمضان 360 هـ /جويلية 971م في حربه ضد قبائل زناتة الموالية للأمويين في الأندلس، عين المعز بن المنصور العبيدي " بلكين بن زيري" واليا على أشير و المسيلة و تيهرت فأحسن الولاية فيها، و اتخذ من اشير التي بناها والده سنة 324 هـ /936م عاصمة لولايته و استطاع أن يحمي ظهر العبيديين م الجهة الغربية لبلاد المغرب حيث تصدى للقبائل الزناتية التي كانت تتربص بالعبيديين[2].

و عندما عزم المعز بن المنصور العبيدي الانتقال إلى مصر عام 362 هت /973م جعل بلكين بن زيري أميرا على بلاد المغرب كلها ما عدا صقلية و طرابلس و قبيلة كتامة، و سماه يوسف و كناه أبا الفتوح و لقبه بسيف الدولة، و كان ذلك بداية فعلية لظهور الدولة الزيرية الصنهاجية ببلاد المغرب[3].

و قد اتبعت هذه الدولة النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل زيري بن مناد، و قد حكمها حوالي تسعة أمراء، جعلوا من المهدية بتونس عاصمة لهم، و كان المذهب المتبع في بداية الدولة الزيرية هو المذهب الشيعي الرافضي على اعتبار أنهم كانوا تابعين للعبيديين في مصر، و هو المذهب الرسمي للدولة في حين أن الكثير من أهل المغرب كانوا على مذهب السنة و كانوا يعارضون المذهب الشيعي، و قد حدث في عهد المعز باديس تحول جذري بالنسبة للجانب الشيعي حيث تخلى عن المذهب الشيعي و تحول إلى المذهب السني المالكي و بذلك تحول جميع سكان الدولة إلى المذهب السني و هذا في حدود عام 440 هـ /1048 م،

---

[1] الحلل الموسية، ص 74-75، ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 42، أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة و تعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ط2، ج1، ص 109.

[2] الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلين دار الغرب الإسلامين بيروت، 1992، ط1، ج1، ص 31 و ما بعدها، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 145.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 228.

كما قطع المعز الدعوة للعبيديين في القاهرة و حولها إلى العباسيين في بغداد[1]، و عندما لم يستطع العبيديون الانتقام منه عسكريا أرسلوا في حدود سنة 442 هـ /1050م أعراب بني هلال و بني سليم و غيرهما إلى بلاد المغرب للقضاء على الزيريين و الحماديين معا[2]، فساد الاضطراب و الفوضى في المغرب فسهل على النورمان الاستيلاء على المهدية عاصمة الزيريين عام 543 هـ /1148 م و كانت بذلك الضربة القاضية و النهاية الحتمية لهذه الدولة و نشير إلى أن الموحدين استولوا فيما بعد على عاصمة الزيريين المهدية سنة 555 هـ /1160م و قضوا على النورمان و استولوا على كافة بلاد المغرب الإسلامي[3].

الحياة الاجتماعية:

يغلب على تركيبة السكان العنصر المحلي البربري الذي يمثل الأغلبية ثم تليه باقي العناصر السكانية عرب و فرس و أفارقة و غيرهم، و كان الصنهاجيون يمثلون الطبقة الارستقراطية الحاكمة ثم تأتي باقي طبقات المجتمع مثل كبار الموظفين الذي كان بعضهم من أصل عربي و يليهم أصحاب الأملاك و التجار ثم الطبقة الفقيرة و التي تسكن في الغالب في البادية، و كان أهل البادية يقيمون في مساكن بدائية أما أهل المدن فأغلب منازلهم في أغلب الأحيان على طابق واحد و كانت مادة البناء هي الطوب، و فيما يخص اللباس كانت الجبة تمثل اللباس العادي لكافة سكان المدن في حين كان أهل البادية يرتدون المساء و هو عبارة عن قطعة قماش يسدلون طرفها على كتفهم الأيسر، و لبست النسوة قلائد من الأحجار الكريمة و اللؤلؤ و الرجال لبسوا العمامة و كانوا يطلقون شواربهم و كان حلق لحية الأسير يعتبر إهانة له و ينذر بقرب إعدامه، و كان الرجال و النساء يخصبون بالحناء، و من بين الأطعمة الرائجة في عهد الزيريين الخبر المعجون و العصيدة التي تطبخ بالحنطة و الزبدة و العسل و هي من بين الأطعمة الرئيسية و لم يكن اللحم الغذاء الأساسي لهم[4].

الحياة الاقتصادية:

اهتم الزيريون بجباية الضرائب و الخراج و بالتالي كان الاهتمام بالأحوال الاقتصادية التي ازدهرت كثيرا خاصة الزراعة، فأنتجت مدن المغرب الأدنى القمح و الزيتون بكثرة خاصة مدينة باجة، و تمثل الانتاج الزراعي عموما على الحبوب منها القمح، الشعير، الذرة، الحمص، الفول و مذلك أشجار التين، الرمان، و الليمون، و بالنسبة للماشية فقد اشتهروا

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 295، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 273-274.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 295 و ما بعدها
[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 146.
[4] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 185 و ما بعدها.

بتربية الخرفان، الخيول، الإبل. أما الصناعة فعرفوا بصناعة النسيج و الغزل، صباغة الجلود، صناعة الورق، الخزف و الزجاج، كما اهتموا بالصناعات المنجمية و المعدنية و غيرها، أما التجارة فقد ازدهرت المبادلات التجارية البحرية منها و البرية مع مصر و دول المغرب و كذلك الأندلس و الدول الأوروبية و تمثلت صادرات الزيريون في العنبر، الحرير، الأكسية، الزيت، الزعفران، اللوز، الحديد، الرصاص و غيرها، أما الواردات فتمثلت في القمح، الخشب، التوابل، و بعض المعادن[1].

الحياة الفكرية:

ازدهر العصر الزيري في الجانب الثقافي خاصة في عهد المعز بن باديس الذي ساهم في تطوير العلوم و الآداب و العمران، و قد احاط المعز به العلماء و الشعراء و الأدباء و قصدوا بلاطه من كل حدب و صوب، و كانت افريقية في العهد الزيري في اتصال فكري مع صقلية و بلاد الأندلس و مدن و حواضر المغرب الإسلامي، و قد أنشأ الزيريون مدارس عديدة تعلم فيها الصبيان القراءة و الكتابة و تلاوة القرآن، و كانوا يكتبون الآيات القرآنية على الألواح، و قد ظهر العديد من الأدباء و الشعراء في العهد الزيري نذكر منهم الشاعر المؤرخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالرقيق و أبو بكر عتيق المجدولي و غيرهم. و في الجانب العمراني بنى الزيريون الكثير من المدن و الحواضر و أنشئوا بها القصور، المنازل، الحمامات، المساجد و الأسواق و من بين مدنهم أشير، المسيلة، بونة، تنس، المهدية، المنصورية، و القيروان و غيرها، و كانت قصورهم تحوي الحدائق و البساتين و الأحواض و ابرك، و كانت في غاية الاتقان حيث برع الزيريون في فن الزخرفة و النقش على الحجارة و الرخام[2].

العلاقات الخارجية:

كانت علاقة الزيريين مع العبيديين في البداية علاقة ولاء شديد لان الدولة الزيرية في المغرب كانت تابعة للخلافة العبيدية (الفاطمية) في مصر، و تغيرت العلاقات بينهما بصفة جذرية لما تولى السلطة المعز بن باديس الزيري فغير ولاءه للعباسيين في بغداد و تخلى عن ولاءه للعبيديين في مصر، و غير مذهب دولته الرسمي من المذهب الشيعي إلى السني،

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 410 و ما بعدها، الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 215 و ما بعدها، حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (567-362 هـ /973-1171م)، مكتبة مديولي، القاهرة، د ت، ط1، ص 105 و ما بعدها

[2] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 385 و ما بعدها.

فحدثت بذلك القطيعة و استفحل العداء بين الزيريين و العبيديين الذين عمدوا للانتقام بشتى الطرق منها إرسال أعراب بني هلال و سليم لاجتياح دولتهم في المغرب[1].

و فيما يخص علاقة الزيريين بأبناء عمومتهم الحماديين فقد تراوحت بين السلم و الحرب، ففي البداية كانت العلاقات جيدة و أخوية على اعتبار أن الزيريين جعلوا الحماديين ولاة على مدينة أشير تابعين لهم، و لكن عندما أسس حماد بن بلكين قلعة بني حماد سنة 398 هـ /1008م و أعلن قيام دولة خاصة به حدثت حروب بينه و بين أبناء عمومته، و في سنة 408 هـ /1017م حدث الصلح بين حماد و المعز بن باديس فعادت علاقة الود و الأخوة بين الدولتين، و على العموم فقد بقيت علاقة السلم و الموادعة بينهما و لكن الدولتين فشلتا في تشكيل جبهة واحدة في محاربة القبائل العربية[2].

عنوان المحاضرة: الدولة الحمادية في المغرب الأوسط

قيام الدولة:

ظهرت الدولة الحمادية إلى الوجود أواخر القرن الرابع هجي تحديدا سنة 398 هـ /1008م[3]، و كان مؤسسها " حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي" الذي اتخذ من

---

[1] حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص 27 و ما بعدها.

[2] عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، المنصورة، 1991م، ط2، ص 170 و ما بعدها.

[3] ابن خلدون: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1391 هت /1971م، ج6، ص 1741. اسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و باجية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ت، ص 119.

قلعة بني حماد (قلعة أبي طويل)[1] التي تقع فوق سفح جبل تقربوست[2] بولاية المسيلة حاليا عاصمة لدولته الناشئة[3].

و قد شيدت هذه القلعة على منحدر وعر فوق سفح جبل تقربوست على الحدود الشمالية لسهل الحضنة و على مسافة ستة و ثلاثون كيلومتر من ولاية المسيلة و بالتحديد ببلدية المعاضيد دائرة أولاد دراج حاليا، و غير بعيدة كثيرا عن ولاية برج بوعريريج و مدينة برج غدير التي سبقت بناء القلعة حيث يرجع إلى العهد الروماني[4]، و يحد القلعة شرقا واد فرج الذي يجري من الشمال إلى الجنوب و عرف باسم وادي جراوة في العهد الحمادي، و يحدها غربا قمة الغورين الشاهقة (1190 متر) التي لا يفصل بينها و بين جبل الرحمة سوى مضيق يمكن الدفاع عنه بسهولة، و من الجنوب يحدها طريق كثير التعاريج يساير وادي فرج[5].

و في مدة قصيرة بلغت حوالي عامين أتم حماد بن بلكين بناء القلعةن فلم يأت راس السنة الرابعة للهجرة حتى كانت الشوارع مكتظة و المساجد زاخرة و الفنادق عامرة حيث رحل إليها من الثغور و القاصية و البلاد البعيدة أرباب الصناعة و التجارة و أهل العلم و الطلبة، و ظل حماد بن بلكين يفتح الحصون و القرى و يضمها إلى ولايته[6].

و قد ذكر المؤرخون العديد من الأسباب التي جعلت حماد بن بلكين يشيد القلعة و يتخلى تدريجيا على مدينة أشير التي جعلها أبناء عمومته الزيريين واليا عليها بعد انتقالهم إلى عاصمة العبيديين (الفاطميين) في بلاد المغرب المهدية، و من أهم الأسباب الموقع الاستراتيجي و العسكري للقلعة حيث شكلت حصنا منيعا للحماديين عندما اشتدت بهم الخطوب، لأن أشير التي كانوا يقيمون بها أصبحت غير صالحة نتيجة لقربها من مضارب قبائل زناتة التي كانت دائما تهدد ملكهم بالسقوط، كما أن القلعة تتميز بالحصانة الطبيعية لأنه لا يوجد أي منفذ يصل إليها إلا من جهة واحدة يمكن مراقبته بكل سهولة[7]، بالإضافة إلى سهولة مراقبة المدن التابعة للملك حماد بن بلكين مثل قسنطينة، المسيلة، سوق حمزة، أشير،

---

[1] أسست مدينة قلعة بني حماد على أنقاض قلعة تعرف بقلعة أبي طويل (أنظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، ج6، ص 128، حساني مختار: الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، ج1، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011م، ص 129-130).

[2] تقربوست معناها باللغة ابربرية السرج، و هذه التسمية هي التي حولها العرب إلى جربيسة، و هذا الجبل الذي يحمل في كتب التاريخ أيضا اسم جبل كيانة و يسمى في الوقت الحاضر جبل المعاضيد. (اسماعيل العربين المرجع السابق، ص 119 هامش 2).

[3] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 119.

[4] حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 129.

[5] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 119

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 171، محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص 92.

[7] حساني مختار، المرجع السابق، ج1ن ص 129 و ما بعدها.

بسكرة و غيرها و هذا نتيجة وقوع القلعة وسط هذه المدن، كما أن القلعة تقع في منطقة تتميز بكثرة تحركات القبائل الرحل الذين يقومون بالتنقل بين الواحات الصحراوية و بذلك يكون التحكم في تحركات هذه القبائل سهل[1].

و هناك سبب آخر يمكن إدراجة يكمن في رغبة حماد بن بلكين في إقامة دولة مستقلة عن الدولة الزيرية في تونس و هذا عن طريق إنشاء مدينة جديدة يتخذها عاصمة لدولته[2].

و قد اعتمد الحماديون كغيرهم النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل حماد بن بلكين، و فيما يخص الجانب المذهبي فقد كانوا في بداية الأمر على المذهب الشيعي في عهد حماد، و لكن في عهد ولده القائد تخلى عن المذهب الشيعي و تحول للمذهب السني، كما تخلى عن الولاء للعبيديين في مصر و أعلن الولاء للعباسيين في بغداد. و تجدر الإشارة إلى أن الدولة الحمادية عمرت حوالي قرن و نصف القرن، حيث كانت قلعة بني حماد العاصمة الأولى لهم لأكثر من نصف قرن بالتقريب حوالي ثلاثة و ستون سنة و تعتبر مرحلة تأسيس الدولة، ثم انتقل الحماديون إلى بجاية فكانت العاصمة الثانية لهم في حدود سنة 461 هـ /1069م[3] و عمرت دولتهم حوالي قرن من الزمن، و تعتبر هذه المرحلة هي مرحلة التقدم و الازدهار و الرقي في جميع المجالات، و قد سقطت الدولة على يد الموحدين بقيادة أميرهم عبد المؤمن بن علي الكومي الذي استولى على عاصمتهم بجاية بعد عدة معارك عام 545 هـ /1152م[4].

أسباب انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية و عن سبب انتقالهم و من قام ببناء بجاية، حيث يرى كل من الحموي و ابن الأثير و الذهبي بأن الناصر بن علناس هو من قام ببنائها سنة 457 هـ /1065م، و ينفرد كل من الحموي و ابن الأثير بذكر سبب بناءها حيث يرجعه هذا الأخير إلى نصيحة محمد بن البعبع رسول تميم بن المعز الزيري إلى الناصر بن علناس حيث أشار عليه ببناء بجاية و الانتقال إليها لكي يقترب من افريقية و يمتلك المهدية و غيرها من أبناء عمومته الزيريين، في حين يرجعه الحموي إلى رغبة الناصر بن علناس في تحصيل الأمان للحماديين من كيد أعدائهم و لكي تعم الفائدة بأن تزدهر الصناعة في بجاية، بينما يرى ابن خلدون أن بنائها كان سنة 460 هـ / 1068م و انتقال الناصر بن علناس إليها كان سنة 461 هـ /1069م في حين يرى صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار بأن المنصور بن الناصر هو الذي بنا بجاية بعد وفاة والده الناصر سنة

---

[1] محمد الطمار، المرجع السابق، ص 93.
[2] حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 130-131.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 174.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص 372-373

481 هـ /1088م حينما ضيقت اعراب بني هلال و بني سليم و غيرها على قلعة بني حماد و هددتها بالسقوط و سماها المنصورية، و يذكر الحموي الرأيين معا حيث نسب بناء بجاية سنة 457 هـ /1065م إلى الناصر بن علناس الذي أطلق عليها اسم الناصرية، و ذكر الرأي الآخر الذي ينسب فيه بناء بجاية إلى المنصور بن الناصر للتخلص من خطر أعراب بني هلال و بني سليم الذين هددوا القلعة بالسقوط و سماها المنصورية[1].

و نرى بأن السبب الرئيسي في انتقال بن علناس من القلعة إلى بجاية هو التخلص من خطر الأعراب الذين هددوا القلعة بالسقوط، فعمل الناصر بنصيحة رسول تميم بن المعز محمد بن البعبع و انتقل إلى بجاية المحصنة طبيعيا من الأخطار الخارجية حيث يحيط بها البحر و الجبال من كل الجهات ما عدا الجهة الغربية التي يمكن تحصينها بوضع جميع قوات الجيش لرد العدوان عليها.

الحياة الاجتماعية:

كانت الحياة الاجتماعية للحماديين راقية سواء في القلعة أو في بجاية، فقد عاشوا في سلام و أمن و رخاء باستثناء فترة مجيء الهلاليين لبلاد المغرب، و قد ذكر الإدريسي ذلك الرخاء الذي عرفه ساكنة قلعة بني حماد حينما قال وهم أبد الدهر شباع و أحوالهم صالحة، و عن أهل بجاية قال و أهلها مياسير تجار[2]، و تحدث الحسن الوزان عن طبيعة أهل بجاية بقوله و البحائيون أناس طيبون[3].

الحياة الاقتصادية:

كانت الحياة الاقتصادية في العهد الحمادي متطورة و مزدهرة ازدهارا كبيرا جدا في الميدان الزراعي و الصناعي و التجاري و نستدل ذلك من شهادة الرحالة و الجغرافيين، حيث قال الإدريسي " و بالقلعة من الفواكه المأكولة و النعم المنتجة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير، و لحومها كثيرة، و بلادها و جميع ما يضاف إليها تصلح فيها السوائم و الدواب لأنها بلاد زرع و خصب و فلاحتهم إذا كثرت أغنت، و إذا قلت كفت، فأهلها أبد الدهر شباع و أحوالهم صالحة"[4]. و يقول عن مدينة بجاية بأن السفن إليها مقلعة، و القوافل منحطة، و الأمتعة إليها برا و بحرا مجلوبة و البضائع بها نافقة، و اهلها مياسير تجار، و بها من الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد، و أهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى، و

---

[1] معجم البلدان، مج1، ص 339، الكامل في التاريخ، مج10، ص 46 و ما بعدها، الذهبي، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تذمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994م، ط1، مج 30، ص 289، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 129، الروض المعطار، ص 81، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 174.

[2] القارة الافريقية و جزيرة الأندلس، ص 161-162.

[3] وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط2، ج2، ص 51.

[4] القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، ص 162.

تجار الصحراء، و تجار المشرق، و بها تحل الشدود و تباع البضائع بالأموال المقنطرة، و لها بواد و مزارع و الحنطة و الشعير بها موجودة بكثرة، و التين و سائر الفواكه بها منها ما يكفي لكثير من البلاد، و بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب، و السفن و الحرابي، لأن الخشب في أوديتها و جبالها موجود بكثرة، و يجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة، و القطران، و بها معادن الطيب موجودة و ممكنة، و بها من الصناعات كل غريبة و لطيفة، و على بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة، و هو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب، و كلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا، و يجوز من شاء في كل موضع منه[1].

و يذكر صاحب الاستبصار بأنه تصنع بمدينة قلعة بني حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة و الرقة إلا الوجدية التي تصنع بوجدة، يساوي كساء عيد من عمل القلعة ثلاثون دينار[2].

و عن بجاية يقول بأنها كثيرة الفواكه و الأثمار، و جميع الخيارات و هي مشرفة نزيهة، و مطلة على البحر و على فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو عشرة أميال، تسقيه أنهار و عيون، و فيه أكثر بساتينهم. و له نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما، و عليها كثير من جناتهم، و قد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر، و له متنزه عظيم، و بها مرسى عظيم تحط فيه سفن الروم من الشام و غيرها، و من أقصى بلاد الروم، و سفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، و بلاد اليمن، و الهند، و الصين و غيرها[3].

الحياة الفكرية:

ازدهرت الحياة العلمية و الفكرية في العهد الحمادي سواء في القلعة أو في بجاية، ففي القلعة يشهد الفن المعماري على ازدهار الميدان العلمي ككل، حيث بنا الحماديون القصور، المساجد، الفنادق، الحمامات، البيمارستانات (المستشفيات) و الأسواق و غيرها على مساحة قدرت بحوالي أربعين هكتار. و فيما يخص المساجد التي تعد من أهم مباني القلعة فقد تحدث المؤرخون عن تشييد العديد منها و أهمها على الإطلاق المسجد الأعظم و المسجد الكبير، و من أهم مباني القلعة و عمرانها على الإطلاق القصور و كانت هذه القصور غاية في الإبداع و الاتقان الفني، و منها قصر يسمى بدار البحر الذي يقع في وسط المدينة على مسافة 150 متر من المسجد و يرجح انه هو نفسه قصر الملك، و هناك قصور أخرى و هي قصر المنار و الكوكب و قصر السلام و قصر حماد و قصر العروسين. كما أنه ظهر الكثير من العلماء

---

[1] القارة الافريقية و جزيرة الأندلس، ص 161.
[2] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 170. (ورد هذا الكلام أيضا عن الحميري). (أنظر الروض المعطار، ص 470)
[3] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 123

في القلعة و تذكرهم كتب التراجم السير بأسمائهم مع إضافة مكان إقامتهم أو ميلادهم بقولهم القلعي نسبة إلى قلعة بني حماد[1].

و بالنسبة للعاصمة الثانية بجاية فقد كانت أكثر ازدهارا من القلعة في الجانب العلمي و الفكري و تفوقت في هذا الجانب على حواضر المغرب الإسلامي القيروان، فاس و مراكش، كما نافست كثيرا حواضر المشرق الإسلامي دمشق، بغداد، و القاهرة و كذلك بلاد الأندلس و صقلية، و تعتبر بجاية من أهم و أكبر معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، و قد اعتنى المؤرخون و الرحالة و الجغرافيون كثيرا بالحديث عن هذا التطور العلمي و الحضاري الذي عرفته مدينة بجاية الحمادية لكونها كانت سباقة في بناء قلاع و عواصم إسلامية شامخة لعبت أدوارا مجيدة في تاريخ الإسلام و الفكر كما كانت قبلة للعلماء و طلبة العلم الذين جاءوا إليها من مشارق الأرض و مغاربها، فتعلموا فيها علوم و معارف عديدة كالرياضيات، و الفيزياء، الأدب، التاريخ، الفلسفة، العلوم الشريعة و غيرها، و حسب رواية أبي حامد الصغير الحسن بن محمد المسيلي فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس الهجري كما كان بها أطباء و حكماء متضلعون في الفلسفة و الحكمة و علم التوحيد، و بها لغويون مميزون و شعراء فحول و رياضيون مبتكرون و محدثون أمناء و متصوفون في القمة. و حتى العوام و العمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري و المدونة و الموطأ و يشرحونها للناس من ذاكرتهم. و من أبرز علماء الفترة الحمادية نذكر الفضيل بن سلمة البيجائي و الرحالة المقرئ أبو القاسم بوسف البسكري، و الفقيه الفيلسوف محمد بن علي بن الرمامة، و الفقيه أبو عبد الملك مروان البوني و اللغوي النحوي الحسن بن علي التيهرتي و العلامة يوسف الورجلاني و الفقيه الفيلسوف أبو حامد الصغير المسيلي و غيرهم[2].

و في الجانب العمراني ازدهرت بجاية ازدهارا كبيرا فقد بنا الحماديون الأسواق، القصور، المساجد، الفنادق، المدارس و غيرها، و من أشهر قصور بجاية نذكر قصر اللؤلؤة الذي قال عنه ابن خلدون كان من أعجب قصور الدنيا[3]، و قصر أميمون و قصر النجم و قصر بلارة و غيرها، و كانت مدينة بجاية محاطة بسور يحيط بها من كل الجوانب و يتخلل

---

[1] ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق و تعليق أحمد مختار العبادي و محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 97. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 175. اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 124 و ما بعدها، عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 276 و ما بعدها.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 160-161، عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 247 و ما بعدها.

[3] العبر، ج6، ص 174.

السور العديد من الأبواب منها باب البحر و باب البنود و مازالا إلى يومنا هذا، و كذلك باب اللوز و باب أميسون و باب المرسى[1].

العلاقات الخارجية:

لم يكن حكام الدولة الحمادية يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميين، بل كانوا يحسون رفقة أبناء عمومتهم الزيريون أنمهم وحدهم الحقيقيون بزعامة بلاد المغرب، و قد شهد أول خروج رسمي علني ضد زعامة الخلافة الفاطمية و كان بطل هذا الخروج هو حماد بن بلكين سنة 398 هـ / 1008م، و لقد حرص الفاطميون على أن تعود بلاد المغرب إلى حظيرتهم فتراهم يسارعون عند أية بادرة إلى بذل الهدايا و تقديم الألقاب و قد حدث ذلك عدة مرات، ففي سنة 532 هـ /1137م وصل مركب فاطمي رحل من الإسكندرية ببضائع عظيمة و هدية لصاحب بجاية يحي بن العزيز[2].

و عن علاقتهم بأبناء عمومتهم المرابطين فقد كانت سلمية و غير عدائية إلى حد بعيد و عاشتا الدولتين الحمادية و المرابطية في أمن و سلام، حيث رضي كلا الطرفين على الحدود التي تملكها دولته، باستثناء محاولة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في بداية حكمه التوسع في المغرب الأوسط للتخلص من قبائل زناتة التي لجأت لهذه البلاد و كانت تهدد الدولة المرابطية، و قد تصدى الحماديون لأطماعه فتراجع الأمير يوسف عن طموحهن و شغل المرابطون أنفسهم بالجهاد في الأندلس، بينما تفرغ الحماديون لمحاربة الأعراب في بلاد المغرب، و بذلك كان السلم و الموادعة هي السمة التي غلبت على العلاقات بين الدولتين[3].

و فيما يخص علاقة الحماديين بالأوروبيين (المسيحيين) فلم تظهر للعيان بشكل واضح و قوي إلا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري و حتى نهاية الدولة الحمادية، و كانت على العموم طيبة مثالية، عكس علاقتهم بالدولة الزيرية التي كانت علاقة حرب و عداء. و قد أقام الناصر بن علناس علاقات ودية مع البابا جريجوري السابع و مدن الساحل الإيطالي، منحت للرعايا المسيحيين في المغرب الأوسط امانا كاملا، و حصل الأسرى المسيحيين على حريتهم بأن اشتراهم الناصر و أرسلهم هدية للبابا، و قد رد هذا الأخير سنة 469 هـ /1076م برسالة شكر و عرفان للناصر، و قد استمرت هذه العلاقات الودية بين الدولتين بعد الناصر[4].

---

[1] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 190 و ما بعدها

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 167 و ما بعدها.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 179 و ما بعدها.

[4] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 176 و ما بعدها، عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 185 و ما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدولة المرابطية في المغرب الإسلامي و الأندلس

نشأة الدولة:

ينتسب المرابطون غلى قبيلة صنهاجة الصحراء و قد عرفوا أيضا باسم الملثمين لارتدائهم اللثام في وجوهم، و قد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية حيث بدأت بالظهور في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجال تحدوهم نزعة إصلاحية، أول هؤلاء الرجال يحي بن ابراهيم الجدالي الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة الصحراء التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلامي إلى الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427 هـ /1036 م و في أثناء عودته منه لقي بالقيروان أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فلزمه و استمع لدروسه و طلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذا يفقههم في الدين، فعرض الشيخ على تلاميذه الأمر فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لبعد الدار و مشقة السفر و الانقطاع عن الأهل في الصحراء، فحمله رسالة إلى تلميذ له في سلجماسة هو وجاج بن زلوا للمطي فانتدب له وجاج تلميذا تقيا من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي فارتحل هذا الأخير مع يحيى بن ابراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، و شرع في تعليم أهلها تعاليم الدين الإسلامي، و قد أنشأ لهذا الغرض رباطا في مصب نهر السنغال، و عندما كثر أتباعه و بلغوا نحو ألف مريد شرع في غزو القبائل التي لم تذعن للإسلام بعد، و قد جعل من يحيى بن ابراهيم الجدالي أميرا على المرابطين، و عندما توفي في حدود سنة 440 هـ /1048 م خلفه في زعامة المرابطين يحيى بن عمرو اللمتوني و عند وفاته سنة 447 هـ /1055م خلفه على زعامة المرابطين أخوه أبو بكر عمر اللمتوني الذي توسعت في عهده دولة المرابطين إلى شمال المغرب الأقصى[1].

و لما وقع الخلاف بين قبيلتي لمتونة و جدالة في الصحراء عاد أبو بكر ابن عمر إلى هناك سنة 453 هـ /1061م لمحاولة الإصلاح بينهما[2]، و قبل عودته جعل ابن عمه الأمير

---

[1] ابن أبي زرع، روض الفرطاس، ص 119 و ما بعدها، ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص 7 و ما بعدها، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 59 و ما بعدها.

[2] ابن أبي زرعن روض القرطاس، ص 134ن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184. (غير ان ابن الخطيب يقول أن ذهاب ابي بكر بن عمر إلى الصحراء حدث سنة 452 هـ /1060م، بينما يذكر صاحب الحلل الموسية و ابن عذارى أنه ذهب سنة 463 هـ / 1070م، و عاد إلى المغرب في العام الموالي حسب هذا الأخير. و أرى أنه من غير الممكن السفر بجيش ضخم إلى الصحراء و فك الخصومات بين قبائل المرابطين في مدة سنة واحدة فقطن كما أن معظم المصادر التاريخية ذكرت بأن

يوسف بن تاشفين اللمتوني خليفة له في شمال المغرب، و لما عاد أبو بكر إلى الشمال وجد ابن عمه قد استأثر بالحكم فزهد فيه و رجع من جديد إلى الصحراء حيث قام بنشر الإسلام في بلاد الزنوج (السودان الغربي) إلى أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة 480 هـ /نوفمبر 1087م[1].

و قد قام الأمير يوسف بت تاشفين حينما كان ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر في الصحراء ببناء مدينة مراكش سنة 454 هـ /1062م و اتخذها عاصمة لدولته الناشئة، و قد عظمت دولة المرابطين في عهده مع مرور الزمن و تمكن يوسف من الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، و الجزء الغربي من المغرب الأوسط، و أجزاء كثيرة من بلاد السودان الغربي و بلاد الأندلس[2].

و قد حكم يوسف بن تاشفين حوالي نصف قرن من الزمن و يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين و أقوى أمراءها على الإطلاق، و قد لقب نفسه بأمير المسلمين و ناصر الدين و أعلن الولاء للخلافة العباسية في بغداد[3]، و اتبع المرابطين الحكم الوراثي حيث حكم بعد الأمير يوسف أولاده و أحفاده و كان مذهب الدولة الرسمي هو المذهب السني المالكي الذي تعصب له المرابطين كثيرا و نبذوا باقي المذاهب[4].

و بالنسبة لنهاية دولتهم فقد سقطت بصفة كاملة في بلاد المغرب و الأندلس عام 541 هـ /1147 م على يد الموحدين بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي[5].

المرابطون في الأندلس:

سمع بأخبار الدولة المرابطية و أميرها يوسف بن تاشفين القاصي و الداني في مختلف ارجاء العالم الإسلامي، فاشتهر ذكره و علت مكانته و راح أهل الأندلس يستنجدون به، و

يوسف بن تاشفين عندما تركه أبو بكر في المغرب استفحل ملكه و عظم شانه و كثر جنده، و قام ببناء مراكش و فتح أقطارا كبيرة من شمال المغرب فمن غير المعقول بأن يفعل كل ذلك في مدة عام واحد فقط، لهذا أرجح ما ذكره ابن ابي زرع و ابن خلدون). (انظر: اعمال الأعلام، ص 232، الحلل الموسية، ص 24-25، البيان المغرب، ج4، ص 21 و ما بعدها).

[1] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 135-136، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 233، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184. (غير أن ابن عذارى و صاحب الحلل الموشية يقولان أن الأمير أبا بكر توفي سنة 468 هـ /1075م، و الأرجح ما أثبتناه في المتن). (أنظر: البيان المغرب، ج4، ص 26، الحلل الموشية، ص 28)

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 136.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج9، ص 99، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 188، الطاهر المعموري، الغزالي و علماء المغرب، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص 9.

[4] علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الافريقي، القسم الأول دولة المرابطين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2009م، ط3، ص 234.

[5] الحلل الموشية، ص 137 و ما بعدها.

يعلقون عليه الآمال لتخليصهم من عدوان النصارى الصليبيين الذي استفحل و اشتد أكثر فأكثر عندما سقطت طيلطلة على يد ألفونسو السادس ملك قشتالة سنة 478 هـ /1085م[1].

و لم يخيب الأمير يوسف آمال أمراء الطوائف فعبر إلى الأندلس التصدي للقوى النصرانية، فانتصر عليهم في معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479 هـ/1086م[2]، و تمكن بعد عامين من ذلك من الاستيلاء على الأندلس و القضاء على دويلات الطوائف بعد أن ثبت للعيان خيانة أمرائها بتعاونهم مع النصارى ضد المسلمين، و بعد صدور فتاوى علماء المشرق و المغرب و الأندلس بشرعية خلع هؤلاء الأمراء المتخاذلين[3].

و قد انتهج الأمير علي بن يوسف نهج والده في محاربة النصارى في الأندلس و إعلاء كلمة الجهاد في سبيل الله و حقق بدوره انتصارات خالدة في معظم المعارك التي خاضها ضد الممالك النصرانية مثل معركة أقليش سنة 501 هـ /1108م[4] و معركة إفراغة سنة 528 هـ /1134 و غيرهما[5].

الحياة الاجتماعية:

كان المرابطون يمثلون الطبقة الحاكمة في الدولة، و كانت المناصب الكبرى كحاكم الولايات و قادة الفرق العسكرية حكرا على البيت الحاكم لكي يضمن أمير المسلمين ولائهم له، و تمتع الفقهاء و القضاة بمكانة سامية في المجتمع المرابطي لدورهم الكبير في قيام الدولة، و كانت للمرأة مكانة رفيعة أيضا على اعتبار أن المرأة الصحراوية كانت دائما الركن الأساسي في بناء الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، و كان لبعضهم دور في الحياة السياسية مثل زينب النفزاوية، و عاش اهل الذمة في ضل الدولة في أمن و سلام و طبعت روح التسامح جميع الطوائف في المغرب و الأندلس، و عاش العامة في رخاء وسعة خاصة أيام يوسف بن تاشفين و النصف الأول من ولاية علي بن يوسف[6].

---

[1] ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 29، المقري، نفح الطيب، مج4، ص 352، ج س. كولان: المرجع السابق، ص 132.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 154، ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 351.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 250، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثالث- عصر المرابطين و الموحدين في المغرب – القسم الأول عصر المرابطين و بداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط2، ص 41 و ما بعدها.

[4] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من الزمان، درسه و قدم له و حققه محمود علي مكي، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط1، ج6، ص 64-65، ميراندا أمبروسيو هويثي: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، المغرب، 2015م، ط2، ص 123.

[5] ابن القطان، نظم الجمان، ج9، ص 235 و ما بعدها، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 245-255، اشباخ، تريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ج1، ص 173-174.

[6] حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008م، ص 325 و ما بعدها.

و قد عاش المرابطون حياة البداوة و التقشف و الزهد سواء الأمراء أو الرعية لأنهم ألفوا ذلك في الصحراء، و كان الأمير يوسف متقشفا في مأكله و ملبسه و مسكنه، و من صور تقشفه أنه لم يكن يأكل سوى خبز الشعير و لحوم الإبل و ألبانها لا يتركها إلى غيرها من الأطعمة طوال حياته اينما حل و ارتحل[1]، و كان يكتفي بارتداء ثياب الصوف و لم يلبس قط غيرها رغم ما فتح الله عليه من الدنيا[2]. و عندما استولى المرابطون على الأندلس سنة 483 هـ /1090م تغيرت أحوال أمراء الدولة و قادتها حيث اصبحوا يعيشون عيشة مترفة فتأنقوا في الملبس و المأكل متأثرين بالأندلسيين و حضارتهم[3].

الحياة الاقتصادية:

عرفت الزراعة في العهد المرابطي ازدهارا كبيرا نظرا لوجود مناخ ملائم و وفرة المياه بوجود مجاري مائية هامة في بلاد المغرب و الأندلس، و قد لجأ المرابطون في عصر علي بن يوسف إلى تطبيق سياسة ذات أثر بعيد في انتعاش الزراعة، فقد أقطعوا الجند أرضا في المغرب و الأندلس يزرعونها و ينتفعون بخيراتها في مقابل أداء واجب الدفاع عن الوطن وقت الحرب. و أهم المحاصيل الزراعية التي أنتجتها بلاد المغرب، القمح و الشعير في طنجة و السوس و سلجماسة، و الذرة بأودغست، و الزيتون في مراكش و درعة و جبل درن و مكناسة التي تعد أكثر المدن إنتاجا له حتى أنها سميت باسمه فعرفت مكناسة الزيتون، كما اشتهرت منطقة السوس بزراعة قصب السكر. و بالنسبة للأندلس فقد انتجت أراضيها خاصة في شرقه محاصيل زراعية كثيرة، فقد اشتهرت زراعة الزيتون و الكروم في دانية و مربيطر و اشبيلية و مرسية، كما اشتهرت زراعة الكمثري و الرمان و السفرجل في بلنسية، و التين في دانية و مالقة و القمح في مرسية. كما اهتم المرابطون بتربية الماشية لوجود مناطق رعية واسعة في المغرب و الأندلس، فازدهرت تربية الأغنام و الابقاء و الإبل و الخيل و غيرها[4].

ازهدرت الصناعات في عصر المرابطين ازدهارا عظيما، فقد توفرت المواد الخام اللازمة للصناعة و تدفقت من اسواق الأندلس و السودان الغربي، و ظهرت مراكز صناعية ضخمة ذاع صيتها و ارتفع نجمها، و من أهمها في المغرب مراكش التي اشتهرت بصناعة

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 136، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية و تونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1869م، ط1، ص 66.

[2] عبد الله كنون: يوسف بن تاشفين، منتدى ابن تاشفين المجتمع و المال، المحمدية، 2004م، ط2، ص 60. محمد علي الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتب التابعين، القاهرة، ط1، 2001م، ص 66.

[3] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 326-327

[4] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 358 و ما بعدها، عيسى بن الذيب: المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية و اقتصادية (540-448 هـ /1056-1145م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009م، ص 262 و ما بعدها.

الصابون و المغازل، و فاس بصناعة الزجاج خاصة الملون منه، و كذلك صناعة تسبيك الحديد و النحاس، و مدينة نول لمكة التي اشتهرت بصناعة الدرق اللمكية و السروج و لجوم الخيل، و مدينة تارودنت التي كانت من أكبر مراكز صناعة السكر الذي كان يجلب إلى جميع بلاد المغرب و الأندلس. أما أهم المراكز الصناعية في الأندلس، مدينة المرية التي احتلت المرتبة الأولى في عصر المرابطين في صناعة المنسوجات الحريرية، كما اشتهرت أيضا بصناعة السفن و التحف المصنوعة من الزجاج، كما اشتهرت قرطبة بالكثير من الصناعات خاصة دباغة الجلود التي كانت تباع كسلعة غالية و نادرة لأوروبا، و صناعة المنسوجات و التحف الزجاجية و البلورية و الخزفية، إلى جانب صناعة التحف العاجية و المعدنية و الآلات الحديدية و الحلي، و هناك مراكز صناعية اخرى في مدينة اشبيلية التي اشتهرت بصناعة الزيت المستخرج من الزيتون، و صناعة الحلي من الذهب النفيس[1].

حظيت التجارة بنصيب وافر في عصر المرابطين، فلقد كان لامتداد رقعة الدولة في المغرب و الأندلس و بلاد السودان الغربي و كذلك الاستقرار السياسي عظيم الاثر في ازدهار النشاط التجاري، فنشطت حركة الصادرات و الواردات و نمت التجارة الداخلية و الخارجية برا و بحرا. و ظهرت العديد من المراكز التجارية الهامة في المغرب و الأندلس مثل أغمات، سلجماسة، المرية و اشبيلية و غيرها، و كان تجار أغمات يبيعون إلى مدن المغرب و بلاد السودان الغربي قناطير من الأموال النحاسية الحمراء و الملونة، الأكسية، ثياب الصوف، العمائم، المآزر و الزجاج و غيرها، و نشطت التجارة بسلجماسة حيث كانت طريق لغالبية القوافل التجارية القادمة من بلاد السنغال و غانة و المحملة بالذهب، و نشطت أيضا الحركة التجارية بين دولة المرابطين و مدن الغرب الأوروبي و قد استحوذ تجار جينوة و بيزة على قدر كبير من تلك التجارة خلال العصر المرابطي[2].

الحياة الفكرية:

كانت دولة المرابطين مبنية على أسس دينية و ذلك اهتمت بالعلماء و الفقهاء و قد ظهر منهم عدد كثير في المغرب و الأندلس ساهموا مساهمة فعالة في ازدهار العلوم الدينية مثل قاضي الجماعة بقرطبة ابن رشد الجد، الشهيد القاضي أبو علي الصدفي، القاضي الفقيه أبو بكر بن العربين القاضي عياض و غيرهم، كما ظهر عدد كثير من المؤرخين و الجغرافيين في العهد المرابطي منهم ابن الصيرفي، ابن بسام الشنريتي، الفتح بن خاقان، الشريف الإدريسي و غيرهم. و ازدهرت أيضا الحركة الأدبية في دولة المرابطين في عهد الأمير

---

[1] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 349 و ما بعدها، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 308 و ما بعدها.

[2] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 353 و ما بعدها.

علي بن يوسف عكس ما يدعيه المستشرقون من انها كانت في انحطاط شديد، و قد اهتم الأمير علي بالشعر و الأدبن و شجع الشعراء و الأدباء فتوافدوا على بلاطه من الأندلس و امتدحوه منهم أبو العباس أحمد بن عبد الله القيسي المعروف بالأعمى التيطلي، و ابو بكر يحيى بن محمد بن يوسف، و لم يقتصر الاهتمام بالشعراء على الأمراء فحسب بل حتى الأسرة الحاكمة و كبار القادة و عمال الدولة على الأقاليم المختلفة اهتموا بهم و قربوهم منهم. و بالنسبة للجانب العمراني فقد اهتم المرابطون به أيضا فقاموا ببناء المسجد الجامع بتلمسان، و لتوسعة جامع القرويين بفاس سنة 530 هـ /1136م، و قاموا ببناء الأسوار و الحصون و القلاع لدواعي حربية، مثل سور مراكش الذي تم بناءه عام 520 هـ /1126م، و أسوار المرية و قرطبة و اشبيلية، و من أشهر قلاعهم في الأندلس قلعة منتقوط في مرسية، و في المغرب قلعة تاسغيموت القريبة من مراكش[1].

و يعاب على المرابطين الضيق الفكري الذي أصاب فقهائهم، و غلقهم باب الاجتهاد، حيث حاربوا الفرق الكلامية و الفلسفية و الزموا الناس بفروع مذهب الإمام مالك وحده، و عملوا على منع بقية مذاهب السنة على الانتشار، و من شدة تعصبهم لمذهبهم قيامهم بإحراق كتب حجة الإسلام للإمام ابو حامد الغزالي خاصة كتاب إحياء علوم الدين، كما يعاب على فقهاء المرابطين أيضا استغلال نفوذهم من أجل جمع المال و بناء الدور و امتلاك الاراضي و عيشهم حياة البذخ و الرفاهية المفرطة[2].

العلاقات الخارجية:

كانت علاقة المرابطين بالعباسيين في بغداد علاقة ولاء و تبعيةن حيث انضمت دولة المرابطين إلى الخلافة العباسية منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر و يوسف بن تاشفين و قد ارسل الخليفة العباسي لهذا الأخير تقليدا و اعتراف بشرعية حكمه، فتلقب بلقب أمير المسلمين و ناصر الدين، و قد وضع المرابطون أسماء الخلفاء العباسيين في السكة، و دعوا لهم في المنابر، و بقيت العلاقات ودية حتى انقراض دولة المرابطين[3].

و عن علاقة دولة المرابطين بالممالك النصرانية في الأندلس فقد كانت علاقة عداء و حرب شديد مع جميع هذه الممالك قطالونية و البرتغال و خاصة مملكتي قشتالة و أراغون التين دخلتا مع المرابطين في معارك و حروب كثيرة. و بدأ هذا العداء لما عبر المرابطون إلى الأندلس لنجدة دويلات الطوائف من الزحف الصليبي على أراضيهم و انتصارهم

---

[1] علي محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الافريقي، القسم الأول، ص 207 و ما بعدها، حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 363 و ما بعدها.

[2] علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الافريقي، القسم الأول، ص 234.

[3] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 235 و ما بعدها.

المدوي على ملك قشتالة ألفونسو السادس في معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479 هـ /1086م بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، و قد استمرت علاقة العداء و الحروب بينهما في عهد الأمير يوسف و ولوده علي، حيث قاد العديد من المعارك لرد عدوان النصارى على بلاد المسلمين و كان النصر تارة للمرابطين و تارة أخرى للممالك النصرانية[1].

أما علاقتهم بالموحدين فقد كانت علاقة حرب و عداء أيضا، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السادس هجري (الثاني عشر الميلادي) و الموحدين يحاربون المرابطين بالنشاط الدعوي و السلاح و خاضوا معهم معارك عديدة في المغرب و الأندلس إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن لن علي الكومي و هذا في سنة 541 هـ /1147 م[2].

عنوان المحاضرة: الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي و الأندلس

تأسيس الدولة:

ينتسب محمد بن عبد الله المعروف بابن تومرت المؤسس الفقهي للدولة الموحدية إلى قبيلة هزغة البربرية و هي إحدى قبيلة مصمودة الكبيرة، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ادعى النسب إلى آل البيت عن طريق الأدارسة (بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه) و لقب نفسه بالمهدي و الإمام المعصوم و لكن المؤرخون و المحققون كشفوا كذب ادعاءاته، كان رجلا فقيرا اهتم بالعلم و تحصيله فارتحل سنة 500 هـ /1106م إلى بلاد الأندلس ثم إلى بلاد المشرق الإسلامي و درس عند أكبر العلماء هناك، عاد إلى بلاد المغرب و التقى عبد المؤمن بن علي الكومي في قرية تاملالت (ملالة) في بجاية سنة 505 هـ /1111م فقربه إليه كثيرا و جعله أكبر تلاميذه، و عاد معه إلى مراكش و شرع في تنظيم دعوتهن حيث استقر في منطقة تينملل بالمغرب الأقصى و أظهر العداء الشديد لدولة المرابطين، و بنا رباطا و كون جماعة سماها الموحدون، و أقام تنظيمه على أساس هرمي قمته ابن تومرت المدعى للعصمة و المهداوية، ثم يأتي جماعة اصحاب العشرة و هم اصحابه المقربين مثل عبد المؤمن بن علي الكومي، البشير الونشريسي، و أبو حفص عمر الهنتاني و غيرهم، ثم تأتي جماعة الخمسين و تضم رؤساء القبائل و شيوخها الكبار و في قاعدة الهرم تأتي جماعة السبعين، و بدأ ابن تومرت نشاطه الدعوى في منطقة السوس

[1] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 153 و ما بعدها.
[2] الحلل الموشية، ص 137 و ما بعدها.

حيث قام بنشر نفوذه في المنطقة، و تسلط على الناس بأعمال قبيحة و ملفقة و هيمن على فكرهم و مشاعرهم حتى استعبدهم، و شرع بعد ذلك في حرب المرابطين حيث خاض عدة معارك معهم أخطرها معركة البحيرة سنة 524 هـ /1130م حيث زحف ابن تومرت و أتباعه على مراكش و فرض عليها الحصار أربعين يوما و لكنه تعرض للهزيمة في آخر المطاف و قتل بعض قادته الكبار و جرح هو جروحا بليغة توفي متأثرا بها بعدها بأيام، و قد نجا في المعركة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي بايعه الموحدون سرا سنة 524 هـ /1130م و علنا في سنة 526 هـ /1132م[1].

استمر عبد المؤمن في حرب المرابطين و استولى على مناطق كثيرة بالمغرب الأقصى و فرض الحصار على مراكش عدة شهور و فتحها سنة 541 هـ /1147م و قتل آخر أمراء المرابطين ابراهيم بن تاشفين و وضع حدا نهائيا لدولة المرابطين بالمغرب[2]. و تمكن من القضاء على الدولة الحمادية في المغرب الأوسط و التي استولى على عاصمتها بجاية بعد عدة معارك سنة 547 هـ /1152م[3]، كما قضى على النورمان و استولى على ممتلكات الدولة البربرية في المغرب الأدنى و عاصمتهم المهدية سنة 555 هـ /1160م[4] و بذلك يستولي الموحدون على كافة بلاد المغرب الإسلامي. و تمكنوا أيضا من الاستيلاء على مدن الأندلس تباعا و القضاء على دولة المرابطين و الأمراء المتغلبين على بعض المدن بها ابتداء من سنة 541 هـ /1147م[5].

اتبع الموحدون النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، و بالنسبة لمذهبهم فقد كان خليط من المذاهب فقد أخذوا بعض عقائد المعتزلة، و أخذوا من المذهب الأشعري في مجال الصفات، و أخذوا ايضا من المذهب الشيعي إدعاء العصمة و المهداوية و الإمامة، و استخدموا السلاح للوصول إلى الحكم على طريقة الخوارج، و منعوا القياس و الاجتهاد و باقي أصول الفقه و اكتفوا بالقرآن و السنة و إجماع الصحابة[6].

بلغت الدولة الموحدية أوج عظمتها و قوتها في عهد الخليفة عبد المؤمن و ولده يوسف و حفيده يعقوب المنصور، و من صور قوتها مقارعتهم للنصارى الصليبيين في الأندلس،

---

[1] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم و تحقيق و تعليق عبد المجيد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ط2، ص 11 و ما بعدها، ابن أبي زرعن المصدر السابق، ص 172 و ما بعدها،

[2] الحلل الموشية، ص 137 و ما بعدها.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص 372-373

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 146.

[5] ابن الأبار: الحلة السيراء، حققه و علق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985من ط2، ج2، ص 199، ابن عذارى، البيان المغرب، ج5ن ص 34-35، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 312.

[6] عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 131 و ما بعدها

حيث قادوا معارك عديدة ضدهم و حققوا في أغلبها انتصارات مدوية مثل معركة الأرك سنة 591 هـ /1195م بقيادة الخليفة يعقوب المنصور[1] و غيرها، و تعرض الموحدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النصارى منها على الخصوص معركة حصن العقاب سنة 609 هـ /1212م و التي كانت سببا في تراجع دولة الموحدين و بداية النهاية في الأندلس و المغرب، حيث لم تقم لها قائمة بعدها و استمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائيا بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيين سنة 668 هـ /1269م.

و قد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي الحفصية في المغرب الأدنى و الزيانية في المغرب الأوسط و المرينية في المغرب الأقصى، و استولى بني نصر (بني الأحمر) على الأندلس[2].

الحياة الاجتماعية:

عم الأمن ربوع الدولة الموحدية مما سمح بازدهار الاقتصاد، حيث اتسعت الزراعة و راجت التجارة و نهضت الصناعة و كثرت المجابي و بلغت الدولة في ازدهارها الاقتصادي حالة لم ير أهل المغرب أياما مثلها قط. و كان لتنوع المناخ و شساعة الأراضي الزراعية فضل في ازدهار الزراعة، كما يعود الفضل الأكبر إلى سياسة الدولة نفسها، فالخلفاء غرسوا كثيرا من البساتين و حثوا الناس على التوسع في الزراعة، و أشركوا الجند في الحصاد في بعض الأوقات، و عملوا على حماية الزراعة من الثورات و الفتن. و تجلت النهضة الصناعية في استغلال المعادن و صناعة السفن التي انتشرت دورها في المدن الساحلية مثل طنجة، سبتة، بادس، وهران، هنين، بونة، المهدية، تونس، قادس، المرية و غيرها، و إنتاج السلاح و المصنوعات الزراعية و خاصة المنسوجات و السكر و الزيت. و رافقت هذه النهضة الزراعية و الصناعية اتساع في التجارة الداخلية و الخارجية فقد تاجر الموحدون مع بلاد المشرق الإسلامي، و بلاد السودان الغربي و أوروبا، و عقدوا الاتفاقات التجارية[3].

الحياة الفكرية:

إن ازدهار المعارف و تنوعها من سمات العصر الموحدي البارزة، فقد استوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة، بفضل طابع الدولة العقائدي و تشجيع الخلفاء لأهل الفكر و الأدب على العطاء، و قد أسسوا المدارس و شيدوا المساجد، و نظموا خزائن الكتب، و وفروا جوا من الحرية ارحب من الجو الذي وفره المرابطون، هذا

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 220 و ما بعدها، السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 165 و ما بعدها

[2] محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني (610 هـ /1213م) – (869 هـ /1465م)، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، 1987م، ط2، ص 31 و ما بعدها.

[3] عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 51 و ما بعدها.

بالإضافة لما للمنافسة بين مشرق الإسلام و مغربه، و العدوتين الأندلسية و المغربي من اثر في إثراء الحياة الفكرية و الأدبية، فغدتها بروح وثابة كان لها الفضل في تدوين كثير من المؤلفات، و لكل هذه العوامل تشبعت فنون المعرفة و كثر العلماء في كل فن. لقد نادى الموحدون بالاجتهاد و الرجوع للكتاب و السنة فزاد اهتمام الناس بالقرآن و علومه، و الحديث و روايته، فظهر مفسرون كبار كأحمد بن مسعود القرطبي و أبي الربيع الكلاعي، و محدثون كبار كابن دحية أبي الخطاب و ابن القطان و غيرهما. و نالت علوم العربية و آدابها حظا عظيما و للدلالة و النثر، و إذا أخذنا الشعر مثلا نجده قد تعددت ضروبه و كثرت أغراضه و برز اعلام في كل فن كابن حزمون في الهجاء و ابن سهل في المجون، و أبي زيد الفازازي في الزهد، و ابن عربي في الشعر الصوفي، و ابن حبوس في المدح. و بلغ المغرب الإسلامي في علوم التاريخ و الجغرافيا و الرحلات و التصوف و الفلسفة و الطب شأوا لم يبلغه من قبل، و لهذه الحقبة انتمى ابن صاحب الصلاة، و عبد الواحد المراكشي و ابن جبير و ابن سعيد المغربي و غيرهم[1].

العلاقات الخارجية:

أشرنا في المحاضرة السابقة بأن علاقة المرابطين بالموحدين كانت علاقة حرب و عداء، و نفس العلاقة ربطت الموحدين بالزيريين في افريقية و الحماديين في المغرب الأوسط، فقد مر ابن تومرت المؤسس الفقهي للدولة الموحدية في حدود سنة 505 هـ /1111م على مدينة بجاية الحمادية، و أظهر سخطه من الأوضاع الدينية و السياسية و الاجتماعية السائدة آنذاك. و تجلى العداء الشديد بين الموحدين و الدولتين الزيرية و الحمادية في كون الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي هم من أسقطا هاتين الدولتين فقد سقطت الدولة الحمادية في أيديهم سنة 547 هـ /1152م، و الدولة الزيرية سنة 555 هـ /1160م[2].

و فيما يخص علاقة الموحدين بالممالك النصرانية في شمال الأندلس فقد كانت علاقة عداء و حروب مع جميع الممالك النصرانية قشتالة و أراغون و ليون و البرتغال و غيرها، و قد بدأ هذا العداء منذ استيلاء الموحدين على الأندلس في حدود سنة 541 هـ /1147م، و حدثت بينهما معارك و حروب طاحنة كان فيها الانتصار للموحدين أحيانا و للمالك النصرانية أحيانا أخرى، مثل غزوة شنترين سنة 580 هـ /1184م، و الذي استشهد فيها الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، و معركة الأرك الشهيرة سنة 591 هـ /1195م بقيادة يعقوب المنصور. و نشير إلى أنه تخللت علاقة العداء علاقة السلم و الموادعة في

---

[1] عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 53 و ما بعدها.
[2] ابن الأثير ، المصدر السابق، مج9، ص 372-373، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 146.

بعض الأحيان و الظروف بين الممالك النصرانية و الموحدين، فلما اشتدت غزوات الموحدين على الممالك النصرانية و حققت انتصارات عديدة عليهم، سارع ملوكها و أمرائها لطلب الهدنة مع الموحدين و قد حلت البعثات باشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568 هـ / جويلية 1173م على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من قبل حاكم طليطلة الكون نونيو ودي لارا، و ألفونسو الثامن ملك قشتالة، و ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز لطلب الهدنة، و بعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة الهدنة مع هؤلاء الملوك[1]. كما سارع المغامر و رئيس العصابة التي عثت في غرب الأندلس فسادا و استولت على مدن المسلمين و ممتلكاتهم " جيرالدو سمبافور" إلى طلب الهدنة مع الموحدين أيضا لأنه شعر بانه فقد مكانته و أغلقت في وجهه فرص المغامرة و ان الموحدين سوف يتفرغون لقتاله، فسار في صحبة رجاله الثلاثمائة و الخمسين إلى إشبيلية سنة 569 هـ /1174م و التمس قبوله عبدا و خادما للخليفة يوسف كي يضمن قوت يومه فقبل الخليفة التماسه و أحسن إليه و أكرمه[2].

عنوان المحاضرة: الدولة الحفصية في المغربين الأدنى و الأوسط

تأسيس الدولة:

الحفصيون ينتمون إلى قبيلة هنتانة فروع قبيلة مصمودة البربرية، أسس الإمارة الحفصية في المغرب الأدنى " أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني" أحد رجال ابن تومرت العشرة الذين تم اختيارهم لراسة هذه الإمارة التي بدأت بالظهور في الوقت الذي أخذ نجم الموحدين في الأفول. و كانت هذه الإمارة تابعة للدولة الموحدية ثم أعلن أبو زكريا يحي الأولى الانفصال عن الموحدين لما شعر بضعف دولتهم، فاستبد بأعمال تونس و القيروان منذ عام 627 هـ /1230م و لم يقنع بنفوذه في المغرب الأدنى فزحف على المغرب الأوسط عام 628 هـ /1231 و استولى على قسنطينة و بجاية، كما استولى أيضا على الجزائر و الشلف عام 636 هـ /1238م و استسلمت له تلمسان 640 هـ /1242م و فر منها حاكمها الزياني ياغمراسن، و من بعد أبي زكريا سيطر الحفصيون على إمارة مليانة عام 659 هـ /1261م و بدأت بذلك سيطرتهم على معظم المغربين الأدنى و الأوسط، و علا شأنهم و جاءتهم البيعة من كل جهة داخل افريقيا و في بعض أقاليم الأندلس مثل إمارة اشبيلية، و من

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط2، ص 436-437، ميراند، المرجع السابق، ص 262.

[2] البيدق، اخبار المهدي بن تومرت، ص 132، ابن عذارى، البيان المغرب، ج5، ص 130، ميراند، المرجع السابق، ص 262، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس – عصر الموحدين- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ج5، ص 90.

مكة نفسها بالأراضي المقدسة عام 657 هـ/1259م حتى أمراء بني مرين في مراكش بايعوهم لمدة قليلة ثم نقضوها[1].

اتخذ الحفصيون من النظام الوراثي قاعدة للحكم حيث اقتصر الحكم على نسل أبو زكريا يحي الأول دون غيره، و كان المذهب السني المالكي هو المذهبي الرسمي للدولة، و عمرت دولتهم التي اتخذت من تونس عاصمة لها حوالي ثلاثة قرون و نصف القرن إلى أن سقطت في يد الأتراك العثمانيين سنة 981 هـ /1573م و كان مجال حكمهم المغرب الأدنى و الجزء الشرقي من المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) حيث وصل نفوذه إلى غاية كدينة بجاية التي تعتبر الحد الفاصل بينها و بين الدولة الزيانية[2].

الحياة الاجتماعية:

يتكون المجتمع الحفصي من عنصرين رئيسيين هما البربر و العرب و أقليات عديدة من الأفارقة و اليهود و النصارى و غيرهم، و قد عاشت هذه العناصر السكانية في أغلب الأحيان في انسجام و سلام، و استعاد اليهود حياتهم بصورة تكاد طبيعية و خالية على الأقل من التخوف المستمر بشأن ذواتهم و ممتلكاتهم، كما هاجرت أعداد كثيرة منهم من أوروبا و استقرت في بلاد المغرب و مارست التجارة و شعائرها الدينية بكل حرية. أما النصارى التي تناقصت أعدادها بشكل كبير منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فهي تمثل جالية قليلة العدد مقارنة مع اليهود و عاشت هي الأخرى في سلام و مارست التجارة البحرية بالخصوص. و في الغالب مارس سكان المدن الصناعة و التجارة و اهتم سكان الأرياف بالزراعة و تربية الماشية[3].

الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الحياة الاقتصادية في العهد الحفصي في الميدان الزراعي و الصناعي و التجاري، فقد كثرت المحاصيل الزراعية و تنوعت، و أنتج الحفصيون الحبوب من قمح و شعير، و الزيتون و مختلف الفواكه مثل الرمان و العنب و غيرها. و قد ظهرت في تونس العاصمة و غيرها من المدن الحفصية أسواق عديدة مخصصة للصناعة و التجارة، و تدل هذه الاسواق عن ازدهار الصناعة و رواج التجارة الداخلية منها و الخارجية، و قد اصطفت هذه الأسواق حول الجامع الأعظم و هي أسواق كلها مغطاة تقريبا في مأمن من الشمس و

---

[1] الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق و تعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط2، ص 23 و ما بعدها، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 229 و ما بعدها، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 201.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 203.

[3] روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1، ج1، ص 356 و ما بعدها.

المطر، منها سوق العطارين أو باعة التوابل و العطور، و سوق القماش، و غير بعيد عنهما يوجد سوق القشاشين أو باعة الخردة و سوق الصاغة بالإضافة إلى سوق الجبة و الغزل، و قريبا من الزاوية الجنوبية الشرقية للجامع الأعظم توجد سوق الكتيبيين أي سوق الكتب، و هناك اسواق أخرى مثل سوق باعة الفواكه الجافة، و سوق الحدادين و الجزارين و غيرها. و من الأماكن التي تكتسي أهمية بالغة بالنسبة للحياة الاقتصادية نشير إلى حي الميناء أو البحرية الذي كان يشتمل بالخصوص على فنادق التجار النصارى المجتمعين بحسب جنسياتهم، ثم نجد فيما وراء إحدى الساحات دار صناعة السفن التي أسهمت بقوة اسطولها البحري في رواج المبادلات التجارية مع بلاد المغرب و الأندلس و أوروبا و باد المشرق الإسلامي[1].

الحياة الفكرية:

نهضت الحياة الفكرية و الفنية و الثقافية في العهد الحفصي، و اصبحت تونس عاصمة الدولة من أكبر المراكز الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي و قد سرقت الإشعاع الحضاري من عاصمة عقبة القيروان، و قد ظهر في العهد الحفصي العديد من العلماء و المؤرخين مثل المؤرخ و الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون صاحب المقدمة الشهيرة و غيرهم. و قد اهتم الحفصيون ببناء المؤسسات الدينية في تونس عاصمة الدولة و باقي المدن الكبرى على غرار بجاية و قسنطينة و غيرهما، ففي تونس تم توسيع جامع الزيتونة العريق و تجميله، و بناء العديد من المساجد منها جامع القصبة، و جامع سيدي يحي السليماني و غيرهما، كما بنا الحفصيون المدارس التعليمية مثل المدرسة التي أنشأتها امرأة من العائلة المالكة و هي أخت أبي يحي أبي بكر في نهج عنق الجمل في المدينة العتيقة اطلق عليها اسم مدرسة عنق الجمل أو المدرسة العتيقة و قد انتهى بناؤها سنة 741 هـ /1341م، و أنشأ الخليفة أبو عبد الله المستنصر في سوق الفلقة مدرسة سميت باسمه و هي المدرسة المنتصرية التي تم بناؤها أخو عثمان سنة 840 هـ /1437م، و قد أنشات مدارس أخرى في أحياء عديدة منها مدرسة يحي الحلفاويين و المدرسة الشماعية و التوفيقية، كما ظهرت زوايا مرتبطة بالحركة الصوفية في القرن الثالث عشر ميلادي، ثم ازدهرت تماما بعد ذلك بمائتي سنة، فإنها تحتل منذ ذلك التاريخ منزلة يقرأ لها حسابها في تونس الحفصية[2].

العلاقات الخارجية:

تراوحت علاقة الحفصيين بالزيانيين بين التبعية و الاستقلال و بين السلم و الحرب، ففي عهد الأمير الحفصي أبو زكريا يحي الأول قام بنو زيان بمبايعته و الدعوة له على

[1] رومار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 376 و ما بعدها.
[2] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 369 و ما بعدها.

منابرهم، و رغم الوحشة التي حصلت عندما حاول الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن غزو بجاية إلا أنه سرعان ما عادت المياه إلى مجاريها، و استمر بنو زيان في تبعيتهم للحفصيين، و قد تدخل أمير بجاية الحفصي لمساعدة الزيانيين عندما غزا السلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان سنة 698 هـ/1299م و خاض معهم معركة جبل الزاب أوقعت بها هزيمة كبيرة في معركة مرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط خلالها من رؤوس العباد.

و لما حاول سلطان تونس أبو عصيدة بن الواثق عقد اتفاق مع السلطان المريني لاسقاط عرش تلمسان، رد على ذلك الأمير عثمان بن يغمراسن باسقاط الدعوة الحفصية من منابر تلمسان و قطع حبل التبعية بهم و بذلك يبدأ دور الاستقلال عن الحفصيين و الخضوع للمرينيين، و حينما بدأ مرحلة ضعف الدولتين الزيانية و المرينية عاد الحفصيون للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية و محاولة السيطرة عليها و ضمنها إلى دولتهم، و قد نظم الحفصيون حملة بجيش صخم من خمسين ألف محارب تمكن من خلالها من احتلال تلمسان عام 827 هـ /1424م، و عزل أميرها أبو مالك الزياني، و بعد مدة أعاده للحكم من جديد، و بقيت العلاقة متوترة بين الدولتين حيث استغل الحفصيون تناحر أمراء بني زيان و ضعف دولتهم للتدخل في شؤونها[1].

مرت علاقة الحفصيين بالمرينيين بثلاثة مراحل أساسية و هي مرحلة تبعية المرينيين الاسمية لبني حفص، و كان الغرض من إعلان التبعية هو إضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم و اتجاههم لتصفية الموحدين بدون تدخل للحفصيين، كما حرصوا على إرضاء العامة في المغرب الأقصى و جذبهم لصفوفهم، تاليه المرحلة الثانية و هي مرحلة السيطرة المرينية على الحفصيين و تمت بعد مساعدة المرينيين للحفصيين في مقارعة الزيانيين و كذلك علاقة المصاهرة التي حدثت بين الدولتين حيث اضطر الحفصيين لمصاهرة أبي الحسن المريني للمرة الثانية، و تجلت بوضوح هذه السيطرة المرينية أثناء الاحتلال المريني لمعظم بلاد افريقية خلال عهد السلطان أبي الحسن و السلطان أبي عنان، فتحولت العلاقات من الود و الإخاء إلى علاقات عدائية، و تأتي المرحلة الثالثة و هي مرحلة عودة العلاقات الودية بين الدولتين و التي بدأت بعد حدوث الاضطراب في البيت المريني و ظهور الصراع على العرش بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 759 هـ /1375م و استمرت علاقة الود حتى نهاية الدولة المرينية في بلاد المغرب[2].

تراوحت علاقة الحفصيين بالدول الأوروبية بين السلم و العداء. و لقد كان لاتساع نفوذ الحفصيين داخل افريقية و خارجها أثر كبير في فتح الطريق لربط العلاقات الطيبية منهم و

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 223 و ما بعدها.
[2] محمد عسى الحريري، المرجع السابق، ص 211 و ما بعدها.

بين عدد من دول و ممالك أوروبا مثل صقلية و الامبراطورية الألمانية، و قدموا للمسلمين في الأندلس مساعدات كثيرة في مختلف المناسبات. و بالنسبة لعلاقة العداء فقد تجلت خصوصا في مقاومة الحفصيين للحملة الصليبية الثامنة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع عام 669 هـ /1270م و الذي انهزم في معركة المنصورة في مصر فحاول أن يغسل عارها في ميدان آخر و لم يجد أصلح من بلاد المغرب و لكنه في هذه المرة كلفه أهلها حياته كلها و هزيمة لقواته الصليبية. كما قام الحفصيون أيضا بفضل أساطيلهم الضخمة في تونس و بجاية و غيرها برد العدوان الأوروبي و اقتحام مراكز القراصنة في موانئ أوروبا نفسها كإسبانيا و البندقية و جينوة و صقلية[1].

عنوان المحاضرة: الدولة الزيانية في المغرب الأوسط

قيام الدولة:

ينتسب بني عبد الواد أو الزيانيون[2] إلى قبيلة زناتة البربرية التي استقرت منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية من المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) و قد بدأ بني عبد الواد في البروز في مسرح الأحداث التاريخية في بلاد المغرب في سنة 627 هـ/1230م حينما بدأ نجم الدولة الموحدية في الانهيار، حيث ظهر جابر بن يوسف بن محمد كزعيم لبني عبد الواد و قام بالتصدي ليحي بن غانية الميورقي حينما هاجم مدينة تلمسان و انتصر عليه و شتت شمله، فأعجب به الخليفة الموحدي المأمون و كتب له البيعة على تلمسان و سائر قبائل زناتة تكريما له، فاضطلع بالأمر و كان ذلك بداية لقيام دولة بني عبد الواد التي تسلم قيادتها الأمير الشاب يغمراسن بن زيان سنة 633 هـ /1236م بعهد من الخليفة الموحدي الرشيد، و قد تميز يغمراسن بقوة العزيمة و حصافة الرأي و سداد التدبير، فاضطلع بالأمر في عزم و قوة و أخضع إلى سلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه أبي عزة زكرار بن زيان و أحسن السيرة في الناس تدبيرا و سياسية، و اعتنى بتنظيم قوته العسكرية و توفير الأسلحة و الدخيرة لها حتى يستطيع القيام بواجبها الدفاعي على البلاد. و استحدث مجلسا وزاريا و كتبة ليساعدوه على تسيير شؤون الإمارة، و اتخذ لنفسه مظاهر الملك و ألغي سيطرة الموحدين الفعلية و لم يبق لهم سوى عادة الدعوة للخليفة على المنابر أيام الجمع و الأعياد[3].

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 56 و ما بعدها، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 202.

[2] كانت هذه الدولة في بداية عهدها يطلق عليها اسم دولة بني عبد الواد، ثم لما تولى أمرها السلطان ابو حمو موسى الأخير عام 760 هـ /1359م و أحياها بعد اندثارها و أطلق عليها اسم الدولة الزيانية (يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 220)

[3] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 53، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 220 و ما بعدها

عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون، و حكمت الجزء الغربي من المغرب الأوسط و اتخذت تلمسان عاصمة لها، و اتبعت النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل يغمراسن بن زيان، و كانت حياتها كلها صراعا مستميتا و طويلا ضد قوى متصارعة متطاحنة عليها، فالدولة المرينية من الغرب و الدولة الحفصية من الشرق تسعيان لمحاولة السيطرة عليها و إزالتها من الوجود، و في أواخر عمرها تعرضت للعدوان الإسباني على سواحلها، ثم تدخل الأتراك العثمانيين في النهاية الذين عزلوا آخر أمرائها عن الحكم " الحسن بن عبد الله الزياني" و بذلك تندثر دولة بني عبد الواد من الوجود سنة 961 هـ /1554م[1].

الحياة الاجتماعية:

شكل البربر أهم عنصر سكاني داخل تلمسان و محيطها في عصر الدولة الزيانية، و أهم قبيلة للبربر هي زناتة و التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة، و العرب الذين كانوا منتشرين أيضا حول تلمسان و بداخلها و تشمل القيسية و اليمنية و الشاميين و القبائل الهلالية، كما وجدت مجموعات سكانية أخرى و هي أقلية تتمثل في الأتراك الغز و الأندلسيون الذين تزايدت أعدادهم تدريجيا خاصة بعد سقوط مدنهم تحت ضربات الممالك المسيحية، بالإضافة غلى اليهود الذين زادت أعدادهم مع هجرة المسلمين من غرناطة سنة 793 هـ/1391م و أغلب نشاطاتهم التجارة، و النصارى و قد كانوا إما جندا أو تجارا أو عمالا في القصر الزياني. و ينقسم المجتمع الزياني إلى طبقتين الخاصة و العامة، فالخاصة تتمثل في السلطان و أسرته و وزرائه و كبار الموظفين وقادة الجند و كبار التجار و القضاة و العلماء خاصة المقربين للسلطة، أما العامة تتمثل في صغار التجار و الحرفيين و الفقراء و العبيد و غيرهم. و كان للسلطان لباس مميز عن لباس الرعية، فقد كان يرتدي إشارة الملك و العمامة، أما في الحروب لم يتميز لباسه عن باقي أفراد الرعية، كما كان لباس التجار مميزا أيضا، حيث يرتدي التجار الحضريون لباسا جميلان ففي فصل الشتاء يشمل قميصا من الصوف و الحرير و سترة ضيقة فوقها عباءة واسعة و يغطون ذلك ببرنس و يضعون قلنسوة على رؤوسهم، و كان العلماء و القضاة و الأساتذة يلبسون أفضل من لباس الطلبة الذين يلبسون ثيابا بسيطة حسب وضعهم و يكون لباسهم مشابها للباس المنطقة التي جاؤوا منها.

و بالنسبة للباس المرأة فقد كانت تلبس ثياب الحرير و الكتان و القطيفة و يلبسن في اقدامهن الجوارب و تتزين بأساور الذهب و الجواهر و خلاخل الفضة، و يعود اختلاف الملابس و الزي إلى اختلاف طبقات الناس و اختلاف دخلهم الاقتصادي بالإضافة إلى سكنهم في مناطق مختلفة و تعدد انتمائهم القبلي.

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 220.

و قد جرت في تلمسان عادة الاحتفال بالمناسبات و الأعياد الدينية و الرسمية، و تشمل الاحتفالات جميع طبقات المجتمع و أهمها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف و هم أهم احتفال رسمي و شعبي بدا في تلمسان في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني، إلى جانب الاحتفال بختم القرآن أو جزء منه، الاحتفال بعيدي الفطر و الأضحى، الاحتفال بتدشين مؤسسة أو مدرسة أو مسجد، العروض العسكرية، سباق الخيل، الاحتفال بميلاد الأطفال، عرف المجتمع الزياني تكافلا اجتماعيا بين أفراده، و من صوره انتشار الأوقاف التي وفرت الرعاية الاجتماعية للفقراء و اليتامى و المرضى، و قام بالحبس السلاطين و العامة، فقد احبس السلطان أبو حمو موسى الثاني على المدرسة التي بناها و سماها المدرسة اليعقوبية و وضع الجرايات لها، و أحبس السلطان محمد بن موسى بن زيان عدة أحباس على مدرسة و مسجد بمدينة تلمسان سنة 796 هـ/1393م، و هناك حبس المساجد أو الحبس لأفراد الأسرة، فقد حبس رجل من تلمسان ريعا له على أولاده الثلاثة و على ذريتهم من بعده ما تناسلوا[1].

الحياة الاقتصادية:

جعلت الظروف الطبيعية من تضاريس و مناخ إمارة تلمسان منطقة فلاحية يتنوع فيها الإنتاج حسب نوعية التربة و كمية الأمطار، و من أهم منتجاتها الحبوب، و منها القمح الذي تركز زراعته حول تلمسان في سهل تاسالا الذي كان يوفر وحده تقريبا حاجة سكان المدينة و كذلك سهل البطحاء و حول وادي سيق و سهلي تنس و متيجة. و الشعير الذي يزرع في السهول الداخلية و المنحدرات السفلى و هوامش الصحراء، و أهم منطقة لإنتاجه هي سهل إيسلي. و من منتجات الزيانيين الزراعية أيضا زيت الزيتون و التين المجفف و العنب و الذي زرع حول ضفاف نهر الشلف و في المرتفعات الشمالية، و اهتمت الدولة بتربية النحل التي ترتكز حول وهران، و تربية الحيوانات مثل الخيل و الغنم و البقر و الماعز و غيرها[2].

ازدهرت الصناعة في العهد الزياني خاصة الصناعة النسيجية لتوفر الصوف الذي فاض انتاجه عن الحاجة المحلية، و قد صنع الزيانيون البرانس، الأقمشة، الزرابي، الحياك أي الحنابل و الأكسية، كما صنعوا الأنسجة القطنية في ندرومة و مستغانم و هنين، و صنعوا الحلي من النحاس و الفضة و الذهب و تتمثل في القلادات و الأقراط و الأساور، و صنعوا بعض الأسلحة كالمهماز و الدرع و السيف و غيرها، كما صنعوا بعض الآلات الزراعية كمناجل الحصاد و سكك الحرث، و بعض الأدوات المنزلية كالقدور و السكاكين و غيرها[3].

---

[1] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 138 و ما بعدها

[2] لطيفة بشاري (بن عميرة): العاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (16-13م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، ط1، ص 196 و ما بعدها.

[3] لطيفة بشاري (بن عميرة)، المرجع السابق، ص 203 و ما بعدها.

نشطت التجارة الداخلية و الخارجية في العهد الزياني كثيرا عن طريق البحر و البحر، و قد تعاملت تلمسان تجاريا مع بلاد المغرب و الشرق الإسلامي و الأندلس و بلاد السودان الغربي و جمهوريات و مدن أوروبا الغربية. و قد صدرت تلمسان القمح عن طريق ميناء وهران إلى مرسيليا، و من هنين إلى المرية و منها تحمل برا إلى غرناطة، كما كان يمثل جزءا هاما من حمولة السفن المتوجهة إلى برشلونة و ميورقة كما نقل القمح برا من تلمسان إلى سلجماسة و منها تحمله القوافل إلى بلاد السودان الغربي، كما صدرت تلمسان الشعير إلى مرسيليا و برشلونة. كما صدرت تلمسان زيت الزيتون و التين المجفف و الزبيب إلى إيطاليا و جنوب أوروبا و بلاد السودان الغربي، و التمور كانت تسوق أيضا إلى أوروبا خاصة إلى مملكة أراغون شمال الأندلس، و باعت تلمسان الخيل لأوروبا و بلاد السودان الغربي، و الجمال لبلاد السودان الغربي، و استوردت فرنسا، إيطاليا، ميورقة، قطالونيا و غيرها من الدول الأوروبية من تلمسان الصوف و الجلود، و المنسوجات الصوفية و القطنية، و الكتان، الحرير، العسل، المرجان، و التوابل الذي يجلب من بلاد المشرق الإسلامي و يسوق إلى أوروبا عن طريق تلمسان. أما الماردات فقد استوردت الدولة الزيانية الذهب و العبيد و ريش النعام و العاج من مدن بلاد السودان الغربي، غانة، السينغال، مالي، أودغست، غاو، تمبوكتو، و غيرها، و استوردت النحاس من غرناطة، و الأسلحة المتمثلة في الخوذات و الرماح و الدروع و غيرها من إيطاليا و ألمانيا، و الخشب و الزجاج من البندقية، و اشترت السفن من البندقية و جينوة، و الأقمشة و الأغطية القطنية و الكتانية و الصوفية من إيطاليا و انجلترا.

و نشير إلى أن اليهود و النصارى قاما بدور هام في التجارة بين مدن المغرب و المشرق الإسلاميين و الأندلس و مدن أوروبا الغربية، و قد وفرت لهم إمارة بني زيان الظروف الملائمة لممارسة التجارة، و على سبيل المثال فقد كان التجار المسيحيون ينزلون في الفنادق الخاصة بهم و يمارسون عملهم بحرية تحت إشراف قناصلهم[1].

الحياة الفكرية:

ظهرت حركة علمية نشطة داخل تلمسان في العهد الزياني، و يتضح ذلك من خلال ظواهر علمية متعددة، منها انتشار معاهد التدريس من مساجد و مدارس، و ظهور عدد كبير من العلماء داخل المدينة على مدى ثلاثة قرون عملوا خلالها على نشر علومهم داخل المدينة و مدن المغرب و الأندلس و مدن المشرق، ظهور عدد من المؤلفات لعلماء المدينة، تنوع العلوم المتداولة داخل المدينة من علوم عقلية و نقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة، انتشار المكتبات العامة و الخاصة، ظهور فنادق من علماء تلمسان أخذت صفة

[1] لطيفة بشاري (بن عميرة)، المرجع السابق، ص 57 و ما بعدها.

التعميم على مستوى المغرب و الأندلس. و قد شجع السلاطين الحركة الثقافية داخل تلمسان من خلال طرق متعددة منها بناء المدارس الخاصة للتدريس و بناء منازل للمدرسين و الطلاب قرب المدارس، تعيين الجرايات للمدرسين و الطلاب مثل تخصيص السلطان يغمراسن للعالم التنسي سنة 666 هـ /1267م إقطاعات بنواحي تلمسان حتى يصرف على نفسه، بحث السلاطين الزيانيون على المدرسين الأكفاء و محاولة استقطابهم للتدريس في تلمسان مثل قيام السلطان ابا حمو موسى الثاني بمحاولة استقدام العلامة عبد الرحمن بن خلدون، و قد ارسل شقيقه يحي لخدمة الدولة الزيانية، مشاركة السلاطين للعلماء بالاحتفالات و الأعياد و المناسبات و اجراء المسابقات الثقافية و خاصة الشعرية مع العلماء. و قد أدى تشجيع السلاطين الزيانيين للعلماء لتطور التعليم الذي انتشر داخل مدن و قرى الدولة الزيانية و بالأخص تلمسان التي كانت محط أنظار معظم العلماء و الفقهاء و الأدباء في أرجاء المغرب الأوسط، و مر التعليم بعدة مراحل، فالمرحلة الأولى يتعلم فيها الطالب القراءة و الكتابة و الخط و حفظ أجزاء من القرآن الكريم و تجويده و تتم داخل الكتاتيب و بعض المساجد غير المشهورة و يكون عدد الطلبة كثير، و المرحلة الثانية يدرس فيها الطلبة علوم النحو و اللغة و الأدب و الفقه و تتم داخل المسجد أو المدارس أو الزوايا و يكون عدد الطلبة أقل من المرحلة الأولى، أما المرحلة الثالثة يركز فيها الطالب على فرع معين من العلوم و الآداب و تكون الدراسة في المدارس أو المساجد المشهورة مثل الجامع الأعظم في تلمسان و يقل عدد الطلبة فيها عن المرحلة السابقة. لقد استفادت الحياة العلمية في تلمسان من هجرة علماء الأندلس إليها أثناء المد النصراني نحو المدن الأندلسية، فقد حمل العلماء المهاجرون علومهم و آدابهم و فنونهم إلى تلمسان و غيرها من حواضر المغرب، و قاموا بتنظيم حلقات العلم و الدروس داخل مساجد و مدارس المدينة المشهورة مثل المسجد الجامع الذي أصبح يوازي جامع الزيتونة و القيروان. و قد درس بتلمسان العلوم النقلية و العقلية و برز العديد من العلماء في الصنفين، و من أبرزهم في العلوم الدينية ابو اسحاق ابراهيم بن خلف بن عبد السلام التنسي، ابو عبد الله محمد بن أبي مرزوق و غيرهما، و من العلماء الذين برزوا في العلوم العقلية محمد بن ابراهيم العبدري التلمساني أبو عبد الله محمد النجار الذي برز في علم النحو و الفلك، ابو عبد الله بن أحمد الحباك الذي اشتهر بعلم الفلك و الحساب و الفرائض و غيرهم. و نشير إلى أن حركة الثقافية التي ظهرت في تلمسان لم يقتصر أثرها على الداخل بل تعداها لتشمل إلى المغرب و الأندلس و المشرق الإسلامي[1].

العلاقات الخارجية:

[1] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 221 و ما بعدها.

كانت العلاقة بين الزيانيين و المرينيين في المغرب الأوسط عدائية، لم تشهد طيلة قيام الدولة المرينية في بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدا من السلام، و في أغلب الأحوال كان ذلك السلام مفروضا على بني زيان ما واتتهم الفرصة لنقضه سارعوا إلى ذلك و عادوا بالعلاقات إلى جو العداء، و قد بدأ العداء قبل قيام الدولة المرينية سنة 668 هـ /1269م إثر تحالف الزيانيين مع الموحدين ضد المرينيين. و استفحل الصراع بين الدولتين سنة 669 هـ/1270م عندما حاصر المرينيون تلمسان و ألحقوا أضرارا بالغة بنواحيها، ثم عادت الدولتين للصلح و لكن سرعان ما تم نقضه لما تحالف الزيانيون مع بني الأحمر في الأندلس ضد المرينيين. كما تفاقم العداء أكثر فأكثر بين الدولتين في سنة 737 هـ /1336م حينما قام السلطان أبو الحسن المريني بغزو شامل للمغرب الأوسط و تمكن من احتلال تلمسان و قتل السلطان أبي تاشفين و تلاشت دولتهم و أصبح المغرب الأوسط إقليما من أقاليم الدولة المرينية، ثم أعاد الزيانيون إحياء دولتهم سنة 749 هـ/1348م باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن، و استمر بعد ذلك الوضع على حاله حيث استمر العداء بين الدولتين و لكن تتخلله فترات من السلم و الموادعة، و بعد وفاة السلطان المريني أبي عنان ظل الزيانيون على أعدائهم لبني مرين حتى سقوط الدولة الزيانية[1].

أما علاقة الزيانيين ببني نصر في الأندلس فقد كانت علاقة حسنة، و توثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية و عسكرية و اجتماعية و ثقافية و اقتصادية، ففي الجانب السياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدولة الزيانية إلى إبعاد المعارضين لها إلى الأندلس، و دعم بنو الأحمر للسلطان أبا حمو موسى الثاني سياسيا و عسكريا، و بالمقابل دعم الزيانيون أيضا بني الأحمر في حروبهم ضد النصارى الصليبيين و كانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب و الفضة و الخيل المسومة و المراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، و توثقت أيضا العلاقة بتبادل الهدايا و التهاني بين زعماء الدولتين، و باستقبال الدولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن و سواحل المغرب الأوسط، منهم من اشتغل مناصب مهمة في الدولة كالوزارة و الحجابة و خاصة في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول، و منهم العلماء الذين تولو مهام التدريس في مساجد و مدارس تلمسان و غيرها من المدن الزيانية، و توثقت أيضا العلاقة الاقتصادية بين الدولتين فكانت الدولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو مجاعة و تمدهم بالمال و الغذاء، ففي

[1] محمد عيسى الحريرين المرجع السابق، ص 216 و ما بعدها.

سنة 763 هـ/1362م قدمت الدولة الزيانية لأهل الأندلس ما مقداره خمسين ألف من الزرع و ثلاثة آلاف دينار من الذهب[1].

أما علاقة الزيانيين بدولة المماليك في مصر فقد كانت طيبة، فلم يمنع البعد الجغرافي بين مصر و تلمسان من قيام علاقات تنوعت بين الجانب السياسي و الثقافي و الاقتصادي و رابطة الحج على اعتبار أن مصر تقع على طريق حج المغاربة، و قد تبادل السلاطين الزيانيون و المماليك الرسائل و الهدايا، فقد تبادل السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرحمن الأول الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر سنة 725 هـ/1325م، و بعث السلطان أبو زيان سنة 799هـ/1397م إلى السلطان المملوكي برقوق ثلاثون رأسا من الخيول العتاق، و ذلك لما تمتاز به من الشدة و السرعة و الصبر على المصاعب. كما قصد طلبة العلم التلمسانيين القاهرة لزيادة معارفهم العلمية، و هناك من عاد إلى وطنه و هناك من بقي في مصر للتدريس، حتى أن بعضهم تقلد مناصب في الدولة المملوكية. و في الجانب الاقتصادي تبادلت الدولتين السلع عن طريق موانئ هنين و شرشال و الجزائر و موانئ مصر و خاصة الاسكندرية[2].

عنوان المحاضرة: الدولة المرينية في المغرب الأقصى

نشأة الدولة:

بنو مرين يعودون بأصلهم إلى قبيلة زناتة و كانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من تلمسان، و قد وقف بنو مرين إلى جانب الموحدين في بداية الأمر و حكموا باسمهم ثم لما ضعف أمر الإمارة الموحدية انتفضوا عليها، و أثاروا عدة فتن و حروب و شنوا عددا من الغارات على أطرافها، و اقتحموا تلال مراكش عام 610 هـ/1213م و انتشر نفوذهم بفضل الأمير أبي يحي بن عبد الحق الذي احتل مدينتي فاس و مكناس و اتخذهما مركزا لنشاطهم حتى تمكن أميرهم أبو يوسف بن عبد الحق من احتلال مراكش عام 668 هـ/1269م فانتهى بذلك عهد الموحدين و برزت إمارة بني مرين و تلقب يوسف بأمير المؤمنين[3].

---

[1] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 120 و ما بعدها.
[2] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 124-125.
[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 206.

و قد اتخذ المرينيون من فاس عاصمة لدولتهم، و اتبعوا كغيرهم من حكام بلاد المغرب النظام الوراثي، إذ كان يشترط في السلطان أن يكون منتميا إلى البيت المريني الحاكم، و كثيرا ما كان السلطان الجديد ابنا أو حفيدا أو أخا للسلطان المتوفي، و استعاد المذهب السني المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين، و كان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب. و كان مجال دولتهم الجغرافي يشمل كامل بلاد المغرب الأقصى و اتسع أحيانا و شمل أجزاء من بلاد المغرب الأوسط، و تقلص أحيانا أخرى إثر الحروب بينهم و بين جيرانهم الزيانيين و الحفصيين، و قد عمرت الدولة المرينية زهاء مائتي عام إلى أن سقطت على يد الوطاسيين سنة 869 هـ/1465م[1].

الحياة الاجتماعية:

شكل البربر السواد الأعظم في البناء الاجتماعي للمجتمع المريني، فمنهم كانت الطبقة الحاكمة التي تنتمي إلى قبيلة زناتة، كما ضم المجتمع عددا من الأندلسيين منهم جند و منهم العلماء، بالإضافة إلى العرب الذي ضم الجيش المريني كثيرا منهم، و ارتبطت الأسرة المرينية الحاكمة ببعض القبائل العربية برباط النسب، إلى جانب هؤلاء توجد عناصر سكانية أخرى تمثل أقليات صغيرة من الأتراك الغز، و الروم (النصارى) الذين انضم معظمهم للجيش المريني، و اليهود الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية و الاقتصادية في الدولة المرينية حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدولة، فكان خليفة بن حيون بن زمامة حاجبا للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني. و يغلب على البلاط المريني طابع البداوة في مطلع قيام الدولة، ثم تطور بالتدريج و أصبح أكثر بهرجة، و يأتي السلطان في البلاط المريني في قمة الهرم، و من بعده الوزراء الذين كانوا عادة من بني مرين أو من القبائل العربية الكبرى، ثم يأتي قادة الجند و كبار موظفي الدولة، و آخر درجة في البلاط كانت تشمل الخدم و غالبهم كان من الرقيق. و يشارك السلطان المريني في الاحتفالات و المناسبات و كان يظهر أمام الناس للمشاركة الفعلية فيها أو بالتجمع لرؤيتها و التمتع بهه و منها الاحتفال باستقبال وفود الدول، الاحتفال بسفر السلطان، الاحتفال بالمولد النبوي، صلاة العيد، و الأفراح. و قد اختص السلطان المريني لنفسه بلبس البرنس الأبيض الرفيع، أما الزي العسكري للسلطان و الأشياخ و عامة الجند في سائر الأيام يتمثل في عمائم طويلة قليلة العرض مصنوعة من الكتاب مع إحرامات يلفونها على أكتافهم و كانت تغلب عليهم الطبعة

[1]محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 181 و ما بعدها.

البدوية، أما العلماء و أهل الصلاح فإنهم يلبسون البرانس الملونة، أو البيضاء أحيانا، أما ملابس القضاة و العلماء و الكتاب و عامة الناس فقريبة الشبه من زي الجند إلا انهم يضعون على رؤوسهم العمائم الخضراء، أما الفقراء كالأيتام فإنهم كانوا يلبسون قمصانا و يربطون على هذه القمصان الأحزمة، و في كثير من الأحيان كانت الدولة توفر لهم هذا الكساء كل عام[1].

الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الزراعة في العصر المريني بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى من دعائم لازمة للزراعة، و أهمها تنوع المناخ، و جودة التربة، وفرة مصادر المياه و التي تتمثل في الخصوص في الأنهار كنهر ملوية، سبو، و وزغة، و نهر بهتا الذي يقع بين مكناسة و سلا، و نهر أم الربيع، و أبو الرقراق و نهر السوس الأقصى و نهر تانسيفت، و نهر شفشاوة، و هذه الأنهار كلها لا يقل ماؤها و لا ينقطع شتاء و لا صيفا[2] بالإضافة إلى الأودية الصغيرة و مياه الأمطار، و كل هذه الدعائم كان لها أثر كبير في تنوع المحاصيل و الثمار و قد ساهم سلاطين بني مرين في ازدهار الزراعة حيث أقطعوا كبار رجال الدولة الإقطاعات الزراعية كالقضاة و قادة الجيش فساهم ذلك في زيادة الإنتاج و باتالي رخاء البلاد. و من المحاصيل الزراعية التي توفرت القمح و الفول و الشعير و القطن و الزيتون و قصب السكر و السمسم و القنب و سائر البقول، كما زرع المرينيون الخضر و الفاكهة و الأزهار و الرياحين مثل الورد، البنفسج، الياسمين، الآس، النرجس، السوسن و البهار، و كان لكثرة الأزهار و الرياحين أكبر الأثر في وفرة محصول عسل النحل. و اهتم المرينيون بتربية الحيوانات الأليفة كالخيل، البغال، الحمير، الإبل، البقر و الغنم، و بتربية الدواجن و الطيور منها الدجاج و الحمام و الأوز[3].

مثلت الصناعة في الدولة المرينية نشاطا من الأنشطة الاقتصادية الهامة، و مما ساعد على قوتها و ازدهارها أن الموحدين خلفوا لهم قاعدة صناعية كبيرة في فاس و غيرها من المدن، و كذلك توفر المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد و النحاس و الفضة و مواد البناء من الجبس و الصلصال و أنواع الحجارة و الرمال. كم كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس و التي استخدمت في صناعة أدوات الزينة، و كذلك الياقوت المستخرج من جبل هزرجة بالقرب من أغمات، كما توفرت أيضا أخشاب الأرز التي استعملت في صناعة الفحم. و من الصناعات التي ازدهرت في العصر المريني صناعة

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 317 و ما بعدها.
[2] المراكشي، المعجب، ص 262-263.
[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 288 و ما بعدها.

عصر الزيتون و اشتهرت فاس بها، و صناعة السكر التي انتعشت في المناطق التي تجود فيها زراعة قصب السكر في سلا و مراكش، كما نشطت في العصر المريني بعض الصناعات الدقيقة، كصناعة الساعات و السطرلابات، و الصناعات الحربية حيث استخدم الجيش المريني أحدث أسلحة العصر، و يعتقد أن المرينيين كانوا روادا في استعمال البارود، و من الأسلحة التقليدية السيوف، الرماح، الدرق، المجانيق، العرادات، و الآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار، كما صنعوا الأزياء العسكرية اللازمة للقادة و الجند، و الأعلام و الطبول[1].

انعكست حالة الأمن و الاستقرار التي سادت الدولة المرينية على نشاطها التجاري، و قد حرص سلاطين بني مرين على توفير الأمن، و تأمين طرق المواصلات بين مدن الدولة، و على توفير أماكن النشاط التجاري أي الأسواق الداخلية، و حرصت على توفير الأسواق الخارجية أيضا لتسويق منتوج المرينيين. فبالنسبة للتجارة الداخلية فقد جرت العادة في المغرب أن تختص كل صناعة بسوق، و كل سوق بصناعة، و غالبا ما تكون الأسواق حول المساجد، فهناك سوق الشماعين و سوق العطارين و الطيبين (باعة البخور) لوجوب التعطر و التبخير بالجوامع، و سوق الكتبيين لأن المساجد كانت مدارس و معاهد للثقافة و العلم، و كانت هناك الاسواق الخاصة ببيع الأقمشة و الملابس أطلق على هذا النوع من الأسواق القيسارية، و إلى جانب هذه الأسواق كانت هناك الحوانيت كحوانيت القصابين و الصباغين و الخياطين و حوانيت الأطعمة الجاهزة و غيرها. و اهتم ولاة الأمر و خاصة بمدينة فاس بإقامة الفنادق و تحديدها لأهميتها الاقتصادية، فهي موضع إقامة التجار و الغرباء ممن لهم أثر كبير في الحركة التجارية، فضلا عن هذه الفنادق كانت مخازن لمختلف أنواع السلع و التجارات. و فيما يخص التجارة الخارجية فقد كانت تجارة المرور هي أهم أنشطة التجارة الخارجية في الدولة المرينية، حيث استفادت الدولة مبالغ كثيرة من الضرائب التي كانت تفرضها على هذا النوع من التجارة، و من جانب آخر جنى التجار المرينيون منها أرباحا وفيرة، فكان هؤلاء التجار المرينيون يحملون الذهب و الصمغ من بلاد السودان الغربي إلى اسواق الأندلس و منها إلى أوروبا و حوض البحر الأبيض المتوسط. و من أهم المنتوجات التي صدرت إلى أوروبا المنسوجات الصوفية و الجلود، و كانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها و جنسياتها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى و بين المرية قاعدة الاتصال الاقتصادية بين أوروبا و بلاد المغرب، و استورد المرينيون من الأندلس آلات الحديد و الأحواض الرخامية المصنوعة في المرية، و كانت الثياب الثمينة و الحلي هي أهم ما تحمله

[1] نفس المرجع، ص 284 و ما بعدها.

قوافل الحج من المنتجات المرينية إلى المغرب الأوسط و افريقية و طرابلس الغرب و مصر و الحجاز[1].

الحياة الفكرية:

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينين حصاد قرنين من المجهودات العلمية بفضل جهود المرابطين و الموحدين في مجالات الثقافة و العلم و الأدب، و ما أن جاء المرينيون حتى انطلقت الحياة الفكرية في عهدهم إلى آفاق أرحب و أوسع، أتاحت للعقلية المغربية مزيدا من النضوج، و قد دعم سلاطين بني مرين انطلاق الحياة الفكرية في عهدهم بدعائم أهمها:

- أن سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على أساس افكار دينية، و على هذا الأساس لم يفرضوا على العلماء في دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر معينة.
- احتضنت سلاطين بني مرين في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم، و آرائهم و أفكارهم، بل لقد سمح المرينيون في كثير من الأحيان بتدريس آراء الموحدين في مدارسهم احتراما منهم لحرية الفكر.
- أن المرينيين أوجدوا في المغرب الأقصى أكبر قاعدة فكرية و ثقافية قامن في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي، و تمثلت هذه القاعدة في ذلك العدد الضخم من المدارس العالية المتخصصة التي انتشرت في أنحاء المغرب الأقصى على نحو لم يسبق له.
- لم يضع سلاطين بني مرين أمام العلماء المغاربة و غيرهم من علماء الأندلس و أدبائهم المهاجرين إلى المغرب الأقصى تحت وطأة الزحف النصراني على ممتلكات المسلمين في الأندلس أية عوائق، تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية، و التمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين، بل لقد انضم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس سلاطين بني مرين العلمية، و شغل بعضهم مناصب كبرى في الدولة المرينية كابن خلدون و ابن الخطيب و ابن الأحمر و ابن رضوان و ابن مرزوق و ابن جزى و المقري و غيرهم من العلماء الذين تفيئوا ضلال بني مرين. و قد ادى ذلك بطبيعة الحال إلى تطعيم الحركة الفكرية في العصر المريني برصيد هائل و ضخم من الثقافة الأندلسية المتنوعة.

و استطاع بنو مرين بهذه الدعائم تنمية الحركة الفكرية، و تعميق جذورها في المغرب الأقصى حتى اصبحت فاس عاصمة للفكر في بلاد المغرب إلى جانب كونها العاصمة السياسية للدولة. و قد عمرت مجالس سلاطين بني مرين بالعلماء و الأدباء و الشعراء خاصة

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 292 و ما بعدها.

في عهد السلطان ابي الحسن المرينين و شهدت هذه الفترة ازدهار العلوم الدينية من تفسير و حديث و فقه، و ازدهار العلوم الأخرى كاللغة و النحو، و التاريخ و السير و الرحلات و الجغرافيا و الفلك و الرياضيات و الفلسفة و المنطق و الطب و قد دعموا هذه العلوم بإنشاء المكتبات اللازمة لهم، و امتاز العصر المريني أيضا بزهور عدد كبير من اقطاب التصوف و أساتذته[1].

العلاقات الخارجية:

يمكن وصف العلاقات بين المرينيين و بني الأحمر بأنها كانت علاقات يشوبها الحذر و الترقب و مرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرا في نوايا بني مرين و تطلعاتهم في بلاد الأندلس و لذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداء و النفرة في بعض الأحيان.

و قد ساعد المرينيون بنو الأحمر في الأندلس لصد النصارى خلال اجتياحهم لأراضي المسلمين الباقية في الأندلس مرات عديدة، و لكن حدثت خلافات بين الدولتين، لأن بني الأحمر بقوا دائما يتوجسون خيفة من أطماع بني مرين في الأندلس[2].

و بالنسبة لعلاقة المرينيين بالممالك النصرانية قشتالة و أراغون في شمال الأندلس فقد كانت عدائية، و هذا العداء نابع من أن المرينيين و بني الأحمر تزعما حركة المقاومة ضد حركة الاسترداد المسيحي بعد سقوط الموحدين. و قد خاض المرينيون العديد من المعارك ضد مملكتي قشتالة و أراغون استنفذوا خلالها الكثير من طاقتهم العسكرية، و لكنهم استفادوا كثيرا خصوصا من الغنائم التي دعمت ثروة دولتهم، علاوة على ذلك أكسبتهم حركة المقاومة هذه مكانة مرموقة في بلاد المغرب و سائر العالم الإسلامي، و كثيرا ما تخلل ذلك العداء بين المرينيين و الممالك النصرانية في الأندلس فترات من السلم حكمتها معاهدات أبرمت بين الطرفين و في كثير من الأحيان كان بنو الأحمر يمثلون طرفا ثالث في هذه المعادات و التي كان بعضها تنص على حرية التجول و المتاجرة بأرض الفريق الآخر[3].

عنوان المحاضرة: دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس

تأسيس الدولة:

محمد بن الأحمر الأول هو الغالب بالله أمير المسلمين الشيخ ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي، من ولد امير الأنصار سعد بن عبادة، و هو

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 337 و ما بعدها
[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 227 و ما بعدها
[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 238 و ما بعدها

مؤسس الدولة النصرية تسلم إمارة مدينة أرخونة في رمضان 629 هـ/1232م و حاول التوسع على مدينتي قرطبة و إشبيلية لكنه فشل، و أمام الشهرة و التأييد اللذين تمتع بهما " ابو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الملقب بسيف الدولة و بالمتوكل على الله و المستعين في الأندلس بعد سقوط دولة الموحدين، أعلن محمد بن الأحمر دخوله في طاعته في شوال سنة 631 هـ/ جويلية 1234م و اكتفى بإمارته على أرخونة و جيان و ضواحيهما، لكن التنافس بين الأميرين استمر خفيفا إلى أن استولى فرديناندو الثالث ملك قشتالة على قرطبة في جمادى الأولى 633 هـ/1236م بمساعدة ابن الأحمر من دون أن ينتبه الزعماء المسلمون، و لما لم يتحد ابن هود قرطبة و التي كانت تحت إمرته، اهتزت مكانته لدى أهل الأندلس و علت مكانة ابن الأحمر الذي عرف كيف يستغل الموقف. و كان ابن هود قو ولى على مدينة غرناطة عتبة بن يحي المغيلي، و كان خصم ابن الأحمر يأمر بسبه على المنابر، و كان ظلوما جائرا لذلك ثار أبناء غرناطة بتحريض من ابن أبي خالد أحد أعيان مدينة جيان و اقتحموا القصبة و قتلوا عتبة و أعلنوا طاعتهم لابن الأحمر، فدخلها هذا الأخير في رمضان 364 هـ / ماي 1237م و جعلها حاضرته و مقر حكمه بدلا من جيان المهددة باستمرار من قبل النصارى. و لما قتل ابن هود في المرية في ظروف غامضة بعد خيانة واليها له سنة 635 هـ/ 1238م دبت الفوضى في المدينة مما سهل دخول ابن الأحمر إليها في شوال سنة 635 هـ / 1238م. أما مالقة فقد أعلنت ولائها لابن الأحمر في السنة التالية. و قد استطاع محمد بن الأحمر الأول أن ينظم شؤون المملكة الفتية فوطد دعائمها و راقب مداخيل بيت المال و قضى على الفوضى و الفساد. و امتدت حدود مملكته الجغرافية من مدينتي جيان و بياسة حتى البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) و شرقا حتى المرية و غربا حتى مصب الوادي الكبير، و يخارقها في الوسط نهر شتيل و الدارو، و فيها جبال سيرا نيفادا و هضاب البشرات[1].

و اتبع بنو نصر النظام الوراثي، حيث اقتصر الحكم في نسل محمد بن الأحمر الأول، أما مذهبهم فقد كان سنيا مالكيا، و يقول ابن الخطيب في هذا الشأن أن أحوال هذا القطر في الدين و صلاح العقائد أحوال سنية، و الأهواء و النحل فيهم معدومة، و مذهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية[2].

و قد عمرت دولة بني نصر أكثر من فرنين و نصف القرن حيث سقطت نهائيا على يد ملكي قشتالة و أراغون فرديناند و إيزابيلا سنة 898 هـ/1492م. و قد أعقب سقوط غرناطة موجة من التعذيب الوحشي الذي حل بمن بقي في بلاد المسلمين، و لم تنته هذه الموجة إلا

---

[1] يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، دار الجيل، بيروت، 1993م، ط1، ص 17 و ما بعدها

[2] ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1978م، ص 38.

في القرن السابع عشر الميلادي، بعد أن عذب المسلمين من عذب، و شرد من شرد، و قتل من قتل، حتى لقد ثبت ان جملة من نفي من مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة بلغت ثلاثة ملايين نسمة[1].

الحياة الاجتماعية:

التقت في المجتمع الأندلسي في عهد بني نصر عناصر بشرية متعددة أهمها البربر و العرب و المسالمة و المولدون و المستعربون و اليهود و الصقالبة، و مع تعاقب السنين أصبح من الصعب التمييز بين هذه العناصر بشكل واضح لأنه وقع اندماج و تعايش و مصاهرة فيما بينها. و لا شك في أن غالبية سكان مملكة بني الأحمر كانت من المسلمين، كما احتضنت المملكة عددا قليلا من النصارى و اليهود. و كان مجتمعا طبقيا فيه الأحرار و العبيد و فيه الخاصة و العامة، و كانت الخاصة تتمثل في السلاطين و الأسرة الحاكمة و الوزراء و قادة الجيش و كبار الموظفين و فئة الملاكين للأراضي الزراعية الواسعة و التجار الكبار الذين جمعوا الأموال و ابتنوا المنازل الفخمة، و يضاف إليهم صغار الملاكين و رجال العلم و الأدب. و المعروف أن نفقة الدولة استهدفت قبل كل شيء خدمة الفئات النافذة التي مالت إلى البذخ عن طريق القصور و مجالس اللهو الخمر و اللهو و الموسيقى و الغناء و اقتناء الجواري و الغلمان.

و كانت العامة تتألف من الحرفيين الصغار و من العمال و الأجراء و العاطلين عن العمل و العبيد، و هي تكون القسم الأكبر من السكان، و لم تكن حالتهم مرضية بوجه الإجمال، و إن لم تصل حد الزراية. و قد حافظت الأسرة على العادات و التقاليد الموروثة، و تمتعت المرأة بحرية نسبية، كما اهتم المسؤولون بالنظافة و الصحة العامة[2].

الحياة الاقتصادية:

اهتم سكان مملكة غرناطة بالزراعة فكانت موردا أساسيا و من الدعائم الاقتصادية في البلاد، و الذي ساعد على ازدهار الحياة الزراعية أن طبيعة الأرض حوت الكثير من الأدوية و الهضاب و السهول الخصبة، فنهر شنيل الذي يعبر البلاد ساعد على وجود بسائط خضراء تتخللها الترع و القنوات و تكثر فيها الخضار و الاشجار المثمرة من كل نوع. أما المرج الفسيج غربي العاصمة فهو غني بالحقول الخصبة التي تعطي أكثر من موسمين في العام و ينتج ما يفيض أحيانا عن حاجات المملكة.

---

[1] عبد اللطيف عبد الهادي، المرجع السابق، ص 264.
[2] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 89 و ما بعدها.

برع الغرناطيون في فلاحة الأرض و غرس الحدائق فأعطوا الأرض وجها باسما. و قد نقلوا من المشرق و المغرب أنواعا من النباتات و غرسوها كالقطن و الأرز و قصب السكر و الزعفران و النخيل، إلى جانب ما كانت تنتجه بلادهم من محاصيل كالزيتون و التوت و البرتقال و الكروم و الحبوب على أنواعها. و قد اهتموا بتنظيم قنوات الري و توزيع المياه بطرق فنية. و اهتم الغرناطيون بتربية الماشية كالخيول و الأبقار و الأغنام، و اهتموا بتربية النحل و الطيور على أنواعها لاسيما الدجاج و الحمام[1].

وصلت الصناعة في الأندلس إلى الذروة ابتكارا و اتقانا، و لم يستطع المشارقة مضاهاة الأندلسيين في حقل الصناعة، و قد حافظ بني الأحمر على مستوى الصناعة و تفردوا بحقول لم يعرف أسرارها سواهم، و كانت ثرواتهم الطبيعية كالحديد و النحاس و الرصاص و الذهب و الفضة و محافر الرخام تمد الصناعة بأسباب الازدهار و التفوق، و المعروف أن كل مدينة في الأندلس تفوقت بنوع من الصناعات، و لما سقطت تلك المدن في يد النصارى انتقل قسم من سكانها إلى المناطق الغرناطية حاملين معهم خبراتهم في حقل الصناعة مما أدى إلى ازدهار شمل مختلف الحقول. و قد اشتهرت المملكة النصرية بصناعة الأسلحة كالسيوف و الخناجر و الدروع و الرماح، كما صنعوا الأواني المنزلية و الصناديق و السلاسل و غيرها، و اهتموا بصناعة الصوف و الحرير و الأقمشة الملونة الممتازة، و دبغ الجلود و صناعة الخزف الذي استعمل في حقل البناء و تزيين الواجهات و مداخل القصور، كما ازدهرت صناعة الورق من القطن و الكتان و صناعة الزجاج و العطور و الحلي، و كان الحرفيون يجتمعون في أحياء خاصة و اسواق تحمل أسماء صناعاتهم كأسواق الحدادين و النجارين و العطارين و غير ذلك[2].

بفعل ازدهار الزراعة و الصناعة تنشط التجارة، كما أن التجارة تحرك عجلة الصناعة و تنمي الزراعة، و قد ازدهرت التجارة الداخلية و الخارجية في عهد بني نصر، و بيعت الفاكهة بأسعار منخفضة في أسواق مدن المملكة النصرية، فثمن ثمانية أرطال من العنب لا يتعدى الدرهم أو الدرهمين بحسب نوع العنب و جودته، و نصف رطل من الزبدة يساوي ثلاثين درهما، و خمسة أرطال من العسل تساوي عشرين درهما، و رطل اللحم يباع بدرهم، أما ثمن الملابس و الأثاث فقد ثمن الحذاء بثلاثة عشر درهما، و ثمن المعطف مئة و ثلاثون دينارا، و ثمن الطاولة أربعة دراهم. و سجل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي) ارتفاعا في ثمن الأرض داخل غرناطة و خارجها فقد تم بيع أحد البساتين سنة 833 هـ/1429م بثمانمائة دينار ذهبا. و فيما يخص التجارة الخارجية فقد ساعد موقع غرناطة الجغرافي على رواج تجارتها الخارجية إذ كانت ملتصقة بالعالم الأوروبي و مجاورة للعالم

[1] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 119 و ما بعدها.
[2] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 122 و ما بعدها

الإسلامي. و لقد عقدت غرناطة مع مملكتي قشتالة و أراغون و بعض جمهوريات و إمارات إيطاليا معاهدات تجارية متنوعة، منها معاهدة بين جينوة و السلطان محمد الثاني سنة 678 هـ/1279م، يتعهد بموجبها السلطان بحماية التجار الجنوبيين و إعطائهم حقوق بناء كنيسة خاصة بهم و فندق و حمام و السماح لهم بممارسة الصيد كما تورد المعاهدة لائحة بالسلع التي يستطيعون المتاجرة بها. و كانت المراكب التجارية تحمل الحرير الخام من مدن المملكة إلى موانئ المتوسط في ايطاليا و فرنسا و أراغون و افريقي. و تصدر غرناطة أيضا اللوز و التين و العنب و يتكفل الجنوبيون بتصديرها، و المعادن المصنعة و العطور و الحلي و الزعفران و الرخام، و كانت بضائعهم تصل إلى مصر و القسطنطينية و بلاد الشام. أما السلع المستوردة إلى المملكة فكانت متنوعة و أهمها الفلفل و الجوز و القرفة و البخور و الأصباغ من الشرق، و الأرز من بلنسية و الزيت من قشتالة و القمح من بلاد المغرب، و الرصاص و النحاس و القطن من أراغون و ايطاليا، و السمن و الجلود و قطعان البقر و الغنم من افريقيا[1].

الحياة الفكرية:

عرفت الحياة الفكرية في الأندلس على عهد بني نصر ازدهارا منقطع النظير، فقد اهتم السلاطين بالتربية و التعليم حيث تم بناء دور التعليم خاصة في المدن الكبرى كغرناطة و مالقة و المرية و وادي آش، و يتعلم الصغار في المدارس الابتدائية القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم، و كان معلموا الأندلس يدرسون كتاب سيبويه في النحو بكفاءة جد عالية حيث لم يجد في المغرب معلما يدرس بمثل كفاءتهم. و كان طلاب العلم يفيدون على غرناطة من الأقطار المجاورة الإسلامية منها و غير الإسلامية، و كان الإقبال على قصر الحمراء لأخذ العلم شديدا من قبل أبناء البيت الحاكم. و الحدث المهم في تاريخ التعليم الأندلسي في تلك الآونة هو بناء المدرسة اليوسفية بغرناطة في عام 750 هـ/1349م و قد سميت هكذا نسبة إلى مؤسسها يوسف الأول، كما عرفت بالمدرسة العلمية و المدرسة النصرية، و قد بدأت مركزا للعلوم الدينية و اللسانية و فيما بعد أصبحت تهتم بأكثر أنواع العلوم المعروفة آنذاك، و قصدها الطلاب من كامل المملكة و بلاد المغرب، و قد درس فيها الفقيه ابن مرزوق و الكاتب عبد القادر بن سوار المغربي و سواهما. و في مجال العلوم و الطب فقد شهد العهد النصري نهضة شاملة و نبغ من العلماء في حقول الهندسة و الرياضيات و الفلك و الطب و غير ذلك، و من هؤلاء نذكر محمد بن الرقاح المرسي الذي اشتغل بالهندسة و الرياضيات و مارس الطب، و أبو يحيى بن رضوان الوادي بشي الذي وضع قصيدة في علم الفلك " المنظوم في علم النجوم" و رسالة في الاسطرلاب، أما الأطباء فقد كثر عددهم و اشتهر

[1] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 124 و ما بعدها.

بعضهم منهم محمد بن ابراهيم الأنصاري المعروف بابن السراج، و يحي بن هزيل التحيبي، و أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري الذي له كتاب " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" و لسان الدين بن الخطيب و غيرهم. و تجدر الملاحظة إلى أن النهضة الأدبية بلغت ذروتها في القرن الثامن للهجرة و بخاصة في عهد السلطان أبي الحجاج و ولده محمد الخامس، و قد نبغ العديد من الأدباء و الشعراء منهم ابن مرج الكحل، عزيز بن عبد الملك القيسي و سواهما كثير، و المن المؤرخين نبغ علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي، و أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي و ابن الخطيب و غيرهم، و من الرحالة ابن جبير، و أبو البقاء خالد بن عيس البلوي و غيرهما. و فيما يخص عمران بني نصر فقد غلب عليه الطابع المدني على الديني إذ لا بروز قوي للمساجد و الحصون كما هي الحال في العهود السابقة لاسيما أيام المرابطين و الموحدين، و ما يسترعي الانتباه في العمارة الإسلامية الغرناطية اعتماد البساطة من الخارج مع كثرة الزخارف من الداخل. و من أبدع ابنية بني نصر في الأندلس و اشهرها على الإطلاق قصر الحمراء الذائع الصيت في مشارق الأرض و مغاربها، و قصر جنة العريف و هو مجموعة من الأبنية و الحدائق، و قصر نشيل و غيرها[1].

العلاقات الخارجية:

كانت علاقة بني نصر بالممالك النصرانية علاقة حروب و عداء شديد، و قد حدثت حروب عديدة جدا بين الطرفين، و بالرغم من تحالف الممالك النصرانية على اسقاطها خاصة مملكتي قشتالة و أراغون إلا أن مملكة غرناطة استطاعت المقاومة و الصمود ورد ما يعرف بحروف الاسترداد في الأندلس، و من أهم أسباب صمودها لأكثر من قرنين و نصف القرن نذكر:

- بعد مملكة غرناطة عن متناول الممالك النصرانية.
- الوازع الديني المتمثل في الجهاد في سبيل الله الذي التزم به سكان المملكة.
- استطاعت مملكة غرناطة أن تدرب سكانها على حمل السلاح و التهيؤ باستمرار لملاقاة العدو.

و نشير إلى أن علاقة العداء ليست وحدها التي ميزت العلاقة بين الطرفين، بل كانت هناك علاقة السلم بابرام الطرفين المتحاربين للهدنة، و نذكر على سبيل المثال الهدنة التي حدثت زمن السلطان النصري يوسف الثالث (820-810 هـ/1408-1418م) مع مملكة قشتالة لوقف الحرب لمدة سنتين، و عندما أراد الغرناطيون تجديدها رفض القشتاليون ذلك.

---

[1] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 133 و ما بعدها.

و لقد استمرت الحروب بين الطرفين المتخاصمين حاصة عندما بدأ الضعف يدب في مملكة بني الأحمر إلى أن سقطت نهائيا في يد النصارى سنة 898 هـ/1492م[1].

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر الوسيط نختم دراستنا بتسجيل الملاحظات التالية:

- الفاتحين المسلمين جاءوا لبلاد المغرب لأجل نشر الدين الإسلامي، و لم يكن مجيئهم التماسا للغنائم كما يزعم المستشرقين و من يرى رأيهم من المؤرخين.
- ساهم البربر في عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث دخلت أعداد كثيرة منهم و خاصة في عهد الفاتح أبو المهاجر دينار الذي عاملهم معاملة حسنة، و الفاتح حسان بن النعمان الذي انضمت إليه جموع كثيرة منهم بعد قضاءه على الكاهنة، و قد تجلى دور البربر أكثر لما فتح طارق بن زياد الأندلس بجيش أغلبه منهم.
- تميز عصر الولاة في بلاد المغرب بالصراع المذهبي و العرقي، و باتباع بعض الولاة سياسة القسوة و الظلم ضد الرعية، مع وجود فترات من السلم و الرخاء لتميز بعض الولاة بالعدل.
- ظهور الحركات الخارجية في بلاد المغرب في عصر الولاة، و التي تمكن زعمائها بعد نشاط دعوي و حربي كبير من تأسيس دولتين لهم إحداهما صفرية المذهب و

[1] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص 141 و ما بعدها.

هي الدولة المدرارية في المغرب الأقصى و أخرى إباضية المذهب و هي الدولة الرستمية في المغرب الأوسط.

- نشأت دول عديدة في بلاد المغرب بعضها موالي للخلافة العباسية في المشرق مثل دولتي الأغالبة و المرابطين، و وبعضها معادي لها مثل الدولتين الإدريسية و العبيدية (الفاطمية).

- توحدت بلاد المغرب تحت سلطة واحدة في عصر الولاة الذي شمل أيضا الأندلس، ثم انقسمت إلى أربع دول رئيسية المدرارية و الرستمية و الإدريسية و الأغلبية، و توحدت من جديد في أواخر القرن الثالث للهجرة في زمن الدولة العبيدية، ثم انقسمت من جديد إلى ثلاثة دول و هي الزيرية و الحمادية و المرابطية، ثم توحد من جديد مع دولة الموحدين في منتصف القرن السادس للهجرة و ملك الموحدين أيضا الأندلس، ثم انقسمت البلاد إلى أربع دول رئيسية الحفصية و الزيانية و المرينية في المغرب و دولة بني الأحمر في الأندلس.

- عرفت بلاد المغرب العديد من الأحداث التاريخية و السياسية البارزة و التي كان لها تأثيرا بالغا على هذه البلاد في جميع الجوانب السياسية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المشهور بصاحب الحمار على العبيديين (الفاطميين) سنة (336-332 هـ/944-948م)، انتقال الفاطميين إلى مصر سنة 362 هـ/973م و ترك الزيريين حكاما على بلاد المغرب، تخلي الزيريين و الحماديين على المذهب الشيعي و تحولهم للمذهب السني و ولائهم للعباسيين بدلا من العبيديين في حدود سنة 440 هـ/1048م، و زحف القبائل العربية الهلالية على بلاد المغرب للانتقام من حكامها بإيعاز من الفاطميين في مصر في حدود سنة 442 هـ/1050م، تغيير الحماديين لعاصمة دولتهم من القلعة إلى بجاية سنة 491 هـ/1069م و غيرها من الأحداث.

- تمكن المرابطين و الموحدين من نجدة ما تبقى من الأندلس بعد سقوط طليطلة سنة 478 هـ/1085م و هذا بالتصدي للنصارى و الصليبيين و إيقاف زحفهم الجارف على بلاد المسلمين و خذا بخوض معارك عديدة معهم مثل معركتي الزلافة سنة 479 هـ/1086م و الأرك سنة 591 هـ/1195م.

- الدول القائمة في بلاد المغرب و الأندلس عرفت ازدهارا في جميع الجوانب السياسية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية، و قد سرقت حواضر المغرب القيروان، تيهرت، بجاية، فاس، مراكش، و تلمسان و كذلك حواضر الأندلس قرطبة و غرناطة و إشبيلية و غيرها إشعاع الحضارة من حواضر بلاد المشرق الإسلامي و أوروبا.

- يمثل سقوط غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس سنة 898 هـ/1492م نهاية للعصور الوسطى الإسلامية و بداية الفترة الحديثة بتعرض سواحل بلاد المغرب للهجومات الأوروبية.

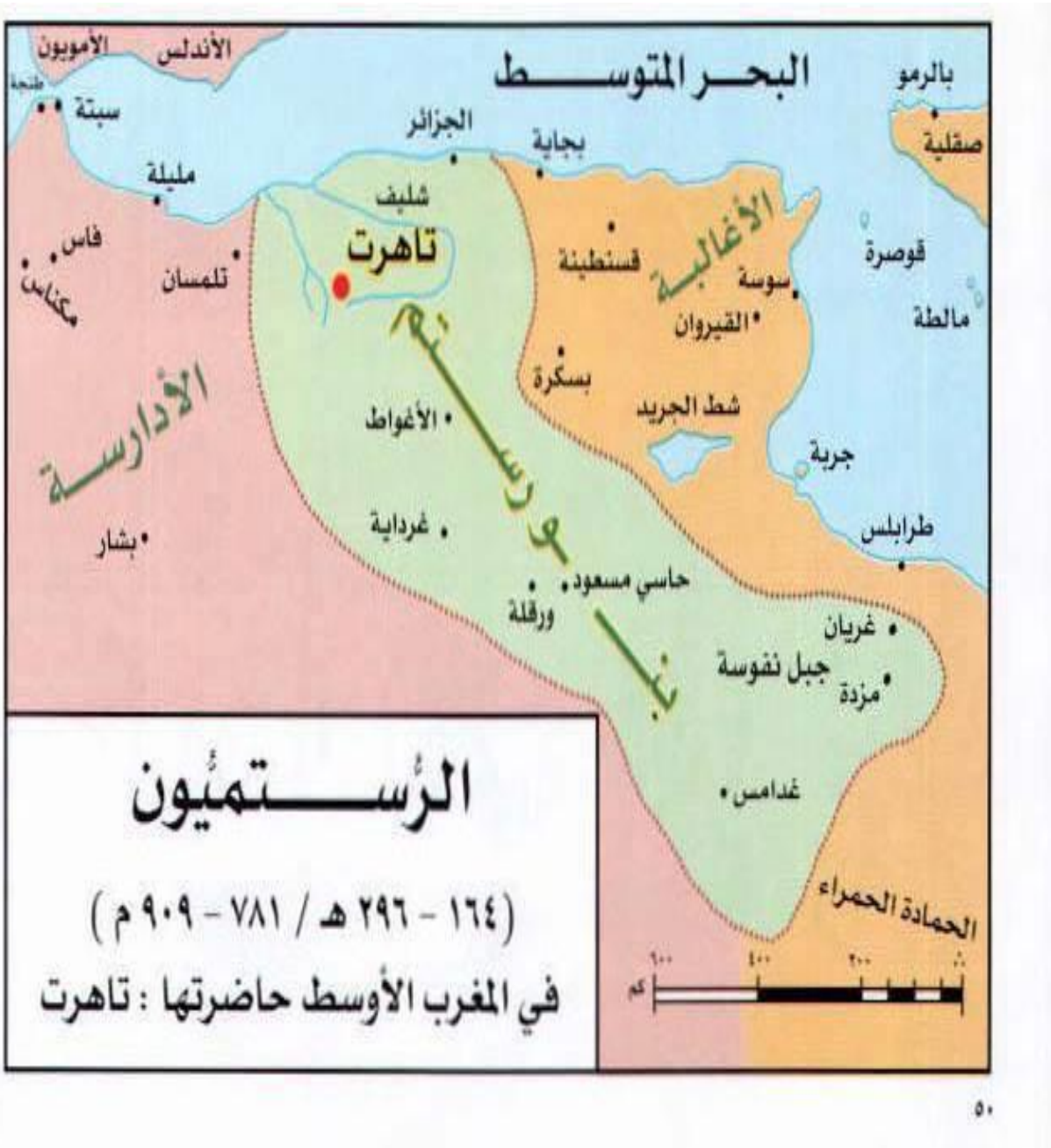
الأمويون
الأندلس
البحر المتوسط
بالرمو
صقلية
طنجة
سبتة
الجزائر
بجاية
مليلة
شليف
تاهرت
الأغالبة
قسنطينة
قوصرة
فاس
تلمسان
سوسة
القيروان
مالطة
مكناسة
بسكرة
الأدارسة
شط الجريد
الأغواط
جربة
غرداية
طرابلس
بشار
حاسي مسعود
ورقلة
غريان
جبل نفوسة
مزدة
غدامس
الحمادة الحمراء
الرُستميُون
(١٦٤ - ٢٩٦ هـ / ٧٨١ - ٩٠٩ م)
في المغرب الأوسط حاضرتها : تاهرت
٩٠٠
٤٠٠
٢٠٠
٠
كم
٥٠

سلالة الرستميين بتيهرت

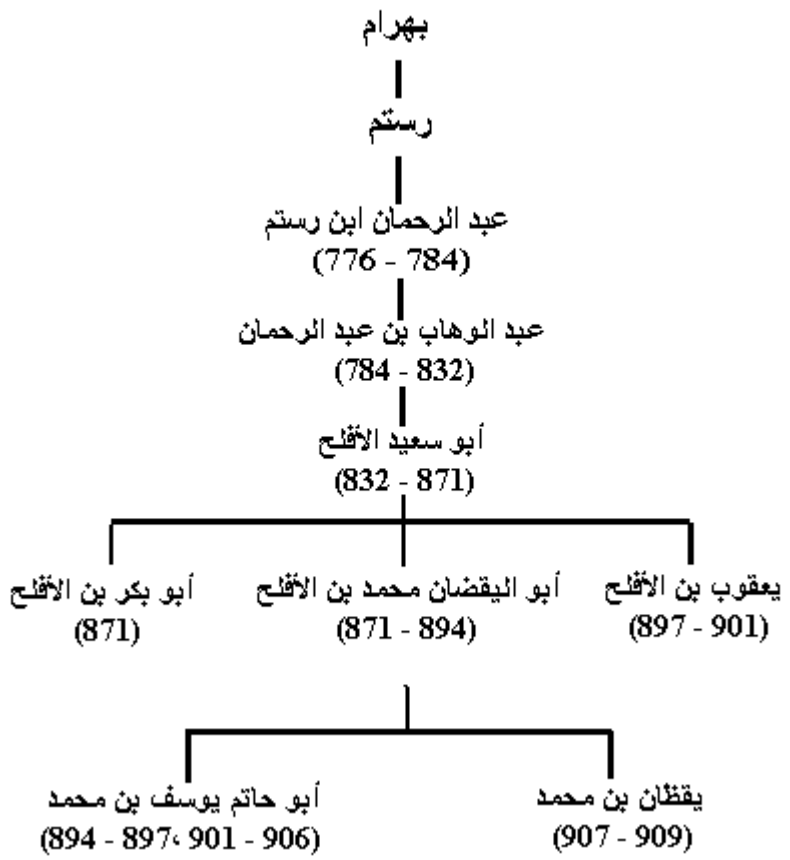

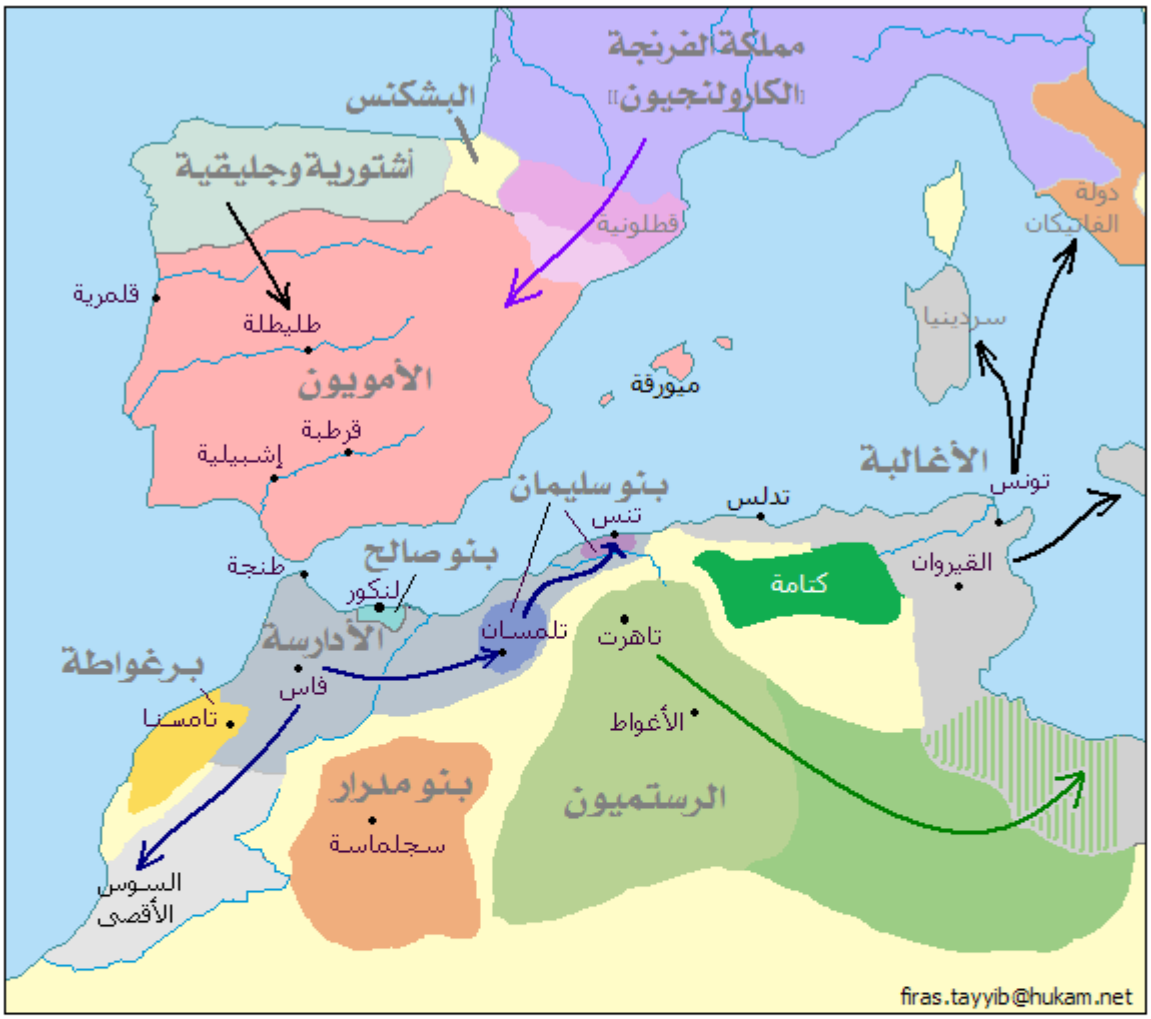

الأدارسة، الرستميون والأغالبة

شمال إفريقية والأندلس في القرن التاسع للميلاد

الدولة الإدريسية

الأدارسة 788–904 م

بنو سليمان في تلمسان 802 910 م

بنو سليمان في التنس 805 910 م

الأمويون 756–1031 م

الرستميون 776 908 م

الأغالبة 800–909 م

بنو صالح 710–1015 م

بنو مدرار 758 977 م

برغواطة 816–1078 م

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- المصادر :

1- اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن واضح ، البلدان ، تح : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، 2002 .

2- ابن عبد الحكم ، ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي ، فتوح إفريقيا والأندلس ، تح : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1987م .

3- /، فتوح مصر و أخبارها، تح : عبد المنعم عامر، القاهرة، ط1

4- محمد بن حوقل البغدادي الموصلي أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، دار صادر بيروت ، 1938م
5- /المسالك والممالك ، طبعة بريل ، ليدن ، 1872م
6- الإدريسي محمد بن عبد الله السبتي الشريف ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتابه نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتعليق : اسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان لمطبوعات الجامعية 1983 .
7- /نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،1422ه 2002م .
8- ابن سعيد المغربي ابو الحسن علي بن موسى الغرناطي ، كتاب الجغرافيا ، تح :اسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري لطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط/1 ، 1970.
9- ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ج : 2 ، .
10- (ليون الإفريقي) الحسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط : 2 ، 1983 .
11- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

12- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة و تحقيق، ناجي التكريتي، بيروت، منشورات تراث عمويدات، ط1، 1978.
13- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تقديم و فهرسة، محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1957.
14- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابلي، مصر ، ط1 ، 1964 ، ج : 3 .
15- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، المسالك و الممالك ، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1) ،2003.
16- ابن عذارى، المراكشي،أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح : ج، س كولان وإ .ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت لبنان ، 1985م، ج1.
17- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، المقدمة ، دار الفكر بيروت ـ لبنان ،1431ه، 2001 م
18- / كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : 1 ، 2011م ج3.

19- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت، ط3 ،1984م .
20- القلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج5.
21- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان،1397ه، 1977، ج : 4 ، ج : 5 ، ج : 6 .
22- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتاب، البيضاء، 1978، ج:3.
23- أبو زكرياء يحي بن بكر الورجلاني،سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ج 1.
24- أبو عبد الله البكري (ت 487 هـ /1094 م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د ط .

25- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : إبراهيم طلاي ، ط: 1 ، 1394ه ، 1974م، ج :
26- ابن الصغير المالكي ، أخبار الائمة الرستميين ، تح : محمد ناصر وابراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1406 ه |1986 م .
27- أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق، قطعة من تاريخ افريقية و المغرب، تحقيق الدكتور عبد الله العلي الزيدان و الدكتور عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
28- ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشر و ترجمة و تعليق خوسيه مارية مياس بييكروسا، محمد عزيمان (د، ط) تطوان المغرب، 1955 م.
29- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ط: 2 ، 1403ه ،1983 م، ج:4.
30- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تح: سهيل زكار ، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، ط:1 ، 1399ه ، 1979م.
31- التيجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد، ت رحلة التيجاني، ، الدار العربية للكتاب، ط:2 ،1401 هـ/1981م،.

32- الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية، تح : محمد الحبيب الهيلة تونس ، الدار التونسية 1970 م .

33- العمري شهاب الدين ابن فضل الله مسالك الأبصار في مملك الأمصار تح : كامل سلمان الجبوري ، نهدي نجم دار الكتب العلمية ،ط:1 ، 2010 م ج : 1 ، 2 .

34- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (732هـ-1324 م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج: 24 ، تحقيق: حسين نصار، ط القاهرة، الهيئة للكتاب، سنة 1403 هـ .

35- الرقيق القيرواني، أبو اسحاق أبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم ، تاريخ افريقياوالمغرب ، تح : عبد العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط: 1 ،1990م

36- العبدري محمد البلنسي ، رحلة العبدري، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة الجزائر،ط : 1 ،2007 ، ص ص : 200-206

37- أبي المنذر هشام بن محمد بن الشافعي الكلبي (204 هـ/825م) جمهرة النسب، ط بيروت، 1407 هـ/1986 م.

38- تقي الدين المقريزي، المقفي الكبير تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط : 2 ، 2006 ،، ج2.

39- محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، تح : مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية، ط :1، 1983 م ، ج : 3.

40- الفرابي، أبو النصر محمد، السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات، تح: فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 1، سنة 1964.

41- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، تر: أحمد شحلان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، سنة 1998.

42- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله سير أعلام النبلاء ، تح : حسان عبد المنان ،بيت الأفكار الدولية.

43- اسماعيل بن عمر ابن كثير البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1990 ج : 11 ، ص : 41 .
44- المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ،دار صادر بيروت 1988 م ، ج : 2 .
45- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، أكمله وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج 3 .
46- حيان بن خلف ابن حيان الأندلس أبو مروان ، المقبس من أخبار بلد الأندلس ، تح : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط : 1، 2006 م .
47- مؤلف مجهول، مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق لطباعة والنشر ، المغرب ، ط: 1 ، 2005م .
48- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الحلة السيراء تح : حسين مؤنس ، دار المعرف ، القاهرة ، ط : 2 ،1958 م
49- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، الشركة التونسة للتوزيع ، ط 2: ،1986 م .
50- المقريزي،أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح : جمال الدين الشيال ، محمد حلمي محمد أحمد ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ط : 2 ، 1996م ، ،ج1،
51- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري السلاوي ، الاستقصاغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، المغرب ، 1997م ، ج1.
52- الداعي إدريس عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ، تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط : 1 ، 1985م .
53- الماوردي علي بن محمد حبيب البصري: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1983، ص 27-31.
54- ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دون طبعة .
55- جوذر علي أبي منصور العزيزي الجوذري سيرة الأستاذ جوذر ، تقديم : محمد كامل حسين ، محمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، مصر.
56- ابن هانئ المغربي الأندلسي، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، 1995م .
57- إبن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية .
58- ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1972م ، ج1.
59- القاضي عياض ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك. تح: أحمد بكير محمود. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت، ج:6، ص: 318.

60- الخشني، عبد الله بن محمد بن الحرث ،طبقات علماء إفريقيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، د ت.
61- المالكي،أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفرقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،تح :بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط:2 ، ج2.
62- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان أكمله وعلق عليه :التنوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ، تصحيح وتعليق :إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط : 2 ، 1388 ه ، 1968 م .
63- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق كولان وليفي بروفنسال. دار الثقافة، بيروت 1983م، ج1، ص 257.
64- ابن القلانسي، تاريخ دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1983.
65- ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج :11، ص 360.
66- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج: 4، ص 179.
67- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دار الكتب العلمية ،ط:2 ، 1995 ،ج15.
68- ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، أبو حفص ، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي ، تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط : 1 ، 1417ه ، 1996م ،ج1، ج2.
69- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح : عبد القادر الأرناؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط : 1 ، 1406ه ، 1986م ، ج : 3.
70- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد ابن الفرضي أبو الوليد ، تاريخ علماء الأندلس، تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط :1 ،1429ه ، 2008م .
71- الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية1966م.
72- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ج2، ص 43-48،
73- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ج2، ص 17-18،
74- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1980م، ج23، ص 403-405 .
75- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي ،المغرب في حلى المغرب ، دار المعرف القاهرة ، 1995م..
76- أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، الدرة المضيئة. في أخبار الدولة الفاطمية ، تح : صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1380 ه ، 1961 م

77- يحي بن سعيد الأنطاكي ، صلة تاريخ أوتيخا ، تح : عبد السلام تدمري ، جروس برس ، 1990 م .
78- ابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ، المنتقى من أخبار مصر تح : أيمن فؤاد السيد، ص 51، الدواداري، الدرة المضيئة.
79- المقريزي، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة 1961، ص 116.
80- الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد الإستقصا لدول المغرب الأقصى ،تحقيق ولدي المؤلف : جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار ، الدار البيضاء ، المغرب طبعة 1954 .
81- ابن أبي زرع ابو الحسن علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار صور لطباعة ووالوراقة ، الرباط 1972 م ، ص 76.
82- أبو عبد الله البكري ، المغرب في ذكرر بلاد أفريقيا والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، د ، ت ، ط ، ص: 165.
83- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الإمام الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، سنة 1979، ج5، ص 153.
84- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، دار الثقافة البيضاء ، 1985 م ج3 ،
85- ابن الأثير علي بن محمد بن محمد ا، الكابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن ،الكامل في التاريخ. تح : أبو الفداء عبد الله القاضي . دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1987، ج8.
86- عبد الواحد المراكشي، المعجم في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة بريل ، ليدن 1881 ، د (ط) .
87- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الدين ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417 هـ-1996م، ج19.
88- - /تاريخ الإسلام وذيله ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط : 2 ، 1990م .
89- عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 194
90- محمود مقيديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، تحقيق علي الزراري و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988ن بيروت، لبنان، ص 502.
91- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق مدني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010.
92- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة بأخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1.

93- أبو العرب التميمي، طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
94- الداعي إدريس عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، قسم خاص من عيون الأخبار تح : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 1998
95- ابن السماك العاملي الأندلسي ، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير ، دار الكتب العلمية ، ط :1 ، 2004 .
96- القاضي النعمان بن محمد ، المجالس و المسايرات، تح : الحبيب الفقي ، إبراهيم شبوح محمد اليعلاوي ، دار المنتظر بيروت لبنان ، ط :1 ، 1996م .
97- الشماخي ، أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد ، بدر الدين الشماخي ، السير ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1407 ه ، 1987م ، ج2.
98- أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان ، سير الوسياني ، تح : عمر بن لقمان ، ط : 1 1430ه ،2009 م .، ج2، ص 511.
99- لسان الدين ابن الخطيب السلماني أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام ، تح: سيد كسرو حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط : 12002 م .، ج : 3.
100- محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي ، ابن عبد الرؤوف ، رسالة في القضاء و الحسبة، تح : ليفي بروفنسال ، 1955 م .
101- ابن الأزرق، أبي عبد الله ابن الأزرق المالقي المالكي ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تح : علي الشامي النشار ، دار السلام ، القاهرة ، ط : 1 ، 2008م المصدر السابق، ج:2.
102- المقريزي ، شذور العقود في ذكر النقود ، النجف ، 1967 .
103- أبي الحسن علي ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تح : حسين مؤنس ، سلسلة خبايا الزوايا ، مجلة المعهد المصري لدراسات الإسلامية في مدريد ، مج : 6 ، العدد : 1، 2 ، 1378ه /1958م .
104- ابن أبي زرع، الدخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية ، تح : محمد بن أبي شنب ، مطبعة جول كربونل ، الجزائر العاصمة ، 133ه ، 1920 م
105- ابن الأحمر إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962.

قائمة المراجع :

106- لوسيان فيفر، الأرض و التطور البشري، ترجمة د: محمد السيد غلاب، طبعة دار المطبوعات الجديدة، القاهرة 1973 .
107- هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري ، ، مطبعة فضالة، المغرب 1995، ج : 1 .
108- جمال الدين الديناصوري وآخرون ، جغرافية العالم ،. إفريقيا وأستراليا ، ا لقاهرة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، 1986، ج : 2 .

109- مقدم مبروك مقدم، نشأة القصور و عمارة الأرض بمناطق توات و أحوازها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.
110- محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد ،ملامح المغرب العربي ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1959 م .
111- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب (د ط)، الجزائر.
112- المعهد التربوي، جغرافية الجزائر و المغرب العربي (الجزائر 1982-1983) .
113- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر : عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ن لبنان ، 1987 م .
114- حساني مختار ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ، دار الحكمة الجزائر 2007 م ، ج : 2 .
115- الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983 م .
116- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع : 128 ذو الحجة 1408 هـ/1988 م.
117- ميتز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربين ط5 سنة 2000م.
118- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابلي، مصر ، ط1 ، 1964 ، ج : 3 .
119- حسن حافظي العلوي، سجلماسة و إقليمها في القرن 8 الهجري/14 ميلادي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمغرب سنة 1418 هـ/1997 م.
120- - الجنحاني الحبيب ، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية (3-4 هـ/9-10 م) الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس 2001.
121- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ج1.
122- الشناوي و آخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج:11.
123- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ، منشأة المعارف الإسكندرية ، 1979 م ، ج1.
124- حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنكيطي " موريتانيا"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010.
125- توفيق المدني، كتاب الجزائر ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 م .
126- موهوبي عبد القادر ، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2011 .

127- علي يحي معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، تح : احمد عمر أوبكة ، المطبعة العربية ، غرداية الجزائر (د ، ت) ، ج 2 .
128- حساني مختار ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، دار الحكمة ، 2009 م ، ج : 2.
129- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،(د، ت).
130- فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296 – 365 ه | 909 – 975 م ، تر : حماد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ط: 1 ،1994 م.
131- محمد البشير الشنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
132- عثمان الكعاك في كتابه (موجز التاريخ العام للجزائر)، تح : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم النجار دار الغرب الإسلامي ط : 1 ، 2003م
133- ممدوح حسين ، افريقية في عصر الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي، قراءة تكشف افتراءات الفاطميين، دار عمار، ، عمان، الأردن، ط :1 ، 1413 هـ/ 1997م.
134- الجنحاني الحبيب ، المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية 3،4ه / 9،10 م، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، 1986 م
135- حسن محمد ، المدينة والبادية بإفريقية العهد الحفصي ،أوربيس لطباعة ، 1999م ، ج : 1
136- التيجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد، ت رحلة التيجاني، ، الدار العربية للكتاب، ط:2 ،1401 هـ/1981م،.
137- الصادق النهيوم ، موسوعة تاريخنا، ط / ليبيا، ج : 3.
138- جمال مختار، تاريخ افريقيا العام اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام(اليونيسكو) 1985، ج3،
139- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات في الحضارة، مكتبة المنار تونس، 1994 ، ج:2 .
140- نقولا زيادة، ليبيا في العصور الحديثة، دار الرائد، القاهرة، 1966م، 11.
141- كمال الدين السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في بلاد المغرب من خلال نوازل و فتاوى الونشريسي مركز الاسكندرية للكتاب، ط1 ، 1997.
142- عبد الفتاح رجب حمد بولبيض، تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر هجري من 400-925هـ. منشورات المركز الوطني للمحفوظات و الدراسات التاريخية (دار الكتب الوطنية ببنغازي)، ط1، 2009.

143- محمد البشير السويسي، معالم تاريخ واحة أوجلة عبر العصور، البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001.
144- زياد نيقولا، محاضرات في تاريخ ليبيا، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، د ت.
145- الطوير محمد أمحمد، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراتة، 1991
146- ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أوهم و محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية ببنغازي، 1970.
147- 1محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002 .
148- - محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون ، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط: 6 ، 1994م.
149- بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م .
150- - جغلول عبد القادر ، الإشكاليات التارخية في علم الإجتماع السياسي عند ابن خلدون تر : فيصل عباس ، دار الحداثة ، بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1989م .
151- الأنصاري محمد جابر، التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، سنة 1995.
152- الجريسي خالد بن عبد الرحمن، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، د (ط 8 س).
153- بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، سنة 2002.
154- هشام بن حسن العطار، أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود، الرياض، السعودية، (1421ه/2001م).
155- جاسم سلطان، فلسفة التاريخ (الفكر الإستراتيجي في فهم التاريخ) مؤسسة أم القرى لترجمة والتوزيع القاهرة ، ط : 1 سنة 2005 .
156- حسين طه، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تر: عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، سنة 1925م.
157- محمد البشير الشنيتي، نوميديا و روما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الإحتلال، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، 2012.
158- - العيد بشي إبراهيم، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دراسة حضارية في قبل التاريخ و عبر التاريخ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
159- محمد سليمان أيوب، جرمة: من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراتي للطباعة و النشر، طرابلس، ليبيا، 1969.

160- ب. سلامة، الصحراء في التاريخ القديم، اللجنة العلمية الدولية (اليونسكو) لتحرير تاريخ إفريقيا العام، الجزء الثاني، جون أفريك، باريس، 1983.

161- عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، الجزء الرابع، تامغناست للنشر، د ط، د ت.

162- محمد البشير الشنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ط الجزائر، 1984.

163- - شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، ج:1.

164- - شاكر محمود ، موسوعة أعلام وقادة الفتح الإسلامي ، ط : 1 ، 2002 م .

165- .محمد الصلابي ، صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي ط : 1 ، دار البيارق ، عمان ، 1998 م .

166- محمود اسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ، دار الثقافة المغرب ط :2 ،1985.

167- الطالبي محمد ، الدولة الأغلبية " التاريخ السياسي " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط: 2 ، 1415ه ، 1995 م.

168- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، ط: 1 ، 1979م .

169- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1979م ، ج 1.

170- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، 1992 م ، ج : 1، ج2.

171- محمد ضيف الله، نوافذ على تاريخ نفزاوة،المغاربية للطباعة،2008 م.

172- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.

173- محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، أوربيس لطباعة ـتونس ، 1999 م ، ج : 1 .

174- - عبد القادر صالح، العقائد و الأديان، دار المعرفة، بيروت، ط:1 ، 2003.

175- المذاهب الفقهية الأربعة ، أئمتها ،أطوارها ،أصولها وأثارها .وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء ، راجعه : أحمد الحجي الكردي ، علي الشيخ الشربجي، بومية بن محمد السعيد ، عنان بن سالم النهام .وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط : 1 ، الكويت ، 2015.

176- - بحاز ابراهيم بن بكير وأخرون ، معجم في التاريخ باسم الدولة الرستمية . جمعية التراث غرداية ، الجزائر

177- عبد العزيز فيلالي ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب دار الفجر لنشر والتوزيع ، مصر، الطبعة الثانية . 1999 م.

178- أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية ، بيروت .

179- . محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
180- جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 م .
181- مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م .
182- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ، تر : حماد الساحلي ، دلر الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ،1994م ..
183- صبحي صالح الصالح: النظم الإسلامية نشأتها و تطورها، منشورا الشريف الرضي ، إيران ، ط : 1 ، 1417 ه ،
184- موسى هصام ، التمكين للمذهب المالكي في المغربين الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس هجريين، ج : 1 ، مؤسسة كنوز الحكمة لنشر والتوزيع ، الأبيار الجزائر ، 2013 م.
185- عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفرق و الجماعات و المذاهب، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999.
186- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ص 287
187- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ط : 5 ، 1421ه ، 2002م .
188- عطية القوصي، دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف القاهرة ،ط : 2 ، 1981م .
189- محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، طنطة.
190- بوتشيش ابراهيم القادري، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، دار الطبيعة، بيروت، ط1، سنة 1991، ص 98.
191- حماه الله ولد سالم ، تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 2010 م ص ص : 49 52 .
192- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، سنة 1988، ص ص 16-30. الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 4.
193- علي محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، دار لبن الجوزي ، القاهرة ، مصر .
194- حمدي عبد المنعم محمد حسين ن التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة ، مصر ، 1997 م
195- هشام بن الحسن العطار، رسالة ماجستير ، أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان ، جامعة محمد بن سعود ، الرياض ، السعودية (1421 ه / 2001 م .
196- محمد القبلين حول مضمرات " التشوف.." ضمن التاريخ و أدب المناقب، دار عكاظ، 1987.

197- - حماه الله ولد سالم، تاريخ بلاد شنكيط(موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربينه الكبرى بين أولاد الناصر و دولة ابدوكلاللمتونية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطبع 2010.

198- حسين مؤنس ، نور الدين زنكي، فجر الحروب الصليبية، الزهراء، دار السعودية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1984، جدة، السعودية،

199- علي محمد الصلابي ، لقائد المجاهد نور الدين زنكي، شخصيته و عصره، ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، الطبعة الأولى، 1428 هـ/2007م، القاهرة، مصر، ص 26-50.

200- حميد تيتاو: الحرب و المجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 107-108.

201- أمين توفيق الطيبين دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1989م .

202- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ج1،

203- محمد محفل وأخرون ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونظامهم في القطر العربي السوري ، المكتب التنفيذي للإتحاد العام للفلاحين ، سوريا دون طبعة .

204- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط :5 ، 1996م .

205- محمود إسماعيل سوسيولوجيا الفكرالإسلامي، سينا لنشر ، 1987م .

206- عبد الحليم عويس،دولة بني حماد ، دار الصحوة لنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط : 2 ، 1411ه ،1991 م

207- إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، دون طبعة، 2001م، ص 87.

208- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة بيروت .

209- أندري ميكيل: جغرافية الإسلام البشرية، ج1، تر: ابراهيم الخوري، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1983، ص 75.

210- بوجيل: تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988

211- جهان ديزانج، البربر الأصليون (بحث ضمن تاريخ افريقيا العام، ج2، ص 458)..

212- حسن خضيري: علاقات الفاطميين بدول المغرب، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط : 1 .

213- حامد عمار: علاقات مصر بالدول الافريقية في العصور الوسطى، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م .

214- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983 م .

215- طاهر راغب حسين: دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1399 هـ/1989م، ص 230.

216- ديكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، ط : 1، 1981.

<u>كتب المعاجم :</u>

217- عطية شعبان (عبد العاطي) وآخرون، المعجم الوسيط ط 4 ، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية ،القاهرة 2004.

218- المنجد في اللغة و الأعلام، لويس معلوف ط :42، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2007.

219- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د (ط 8 س)، ج 4، 5.

220- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1978. د (ط). ج 1،

221- بحاز ابراهيم بن بكير وأخرون ، معجم في التاريخ باسم الدولة الرستمية . جمعية التراث غرداية ، الجزائر

222- قاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ، دار الغد الجديد ، القاهرة ط / 1 ، 2014 سنة .

223- ديكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط :1، 1981.

الرسائل الجامعية :

224- عبد السلام حورية ، علاقات مصر ببلاد المغرب العربي من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية،رسالة ماجستير تحت إشراف حسن أحمد محمود، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1974.

225- حمامد محمد ، الحياة الاجتماعية والثقافية بورجلان ونواحيها خلال القرنين (5- 6 ه |11 -12 م)رسالة ماجستير جامعة أدرار ، الجزائر ، 1433 \1434 ه \2012 \2013 م اشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف.

226- هشام بن حسن العطار، أثر الإسلام في نظرة ابن خلدون للإنسان والأديان، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود، الرياض، السعودية، (1421ه/2001م).

227- محمد العميم، قبائل المغرب و أقوامه خلال القرنين الأولين للميلاد، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب، فاس 1989 م، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد التازي سعود.

228- أطروحة دكتورى الموسومة ب " الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي أسسه مجالاته وإن انعكاساته" للباحث :سبع قادة ، إشراف ، الأستاذ الدكتور : محمد بن معمر ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران ، السنة الجامعية : 1436 – 1437 ه / 2014 – 2015 م .

229- بوخالفة نور الهدى ، أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، رسالة دكتورى دولة ، السنة الجامعية 1994 – 1995 م ص : 471 ، الإحالة رقم 3 .

230- بوخالفة نور الهدى ، أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، رسالة دكتورى دولة ، السنة الجامعية 1994 – 1995 م ص : 471 ، الإحالة رقم 3 .

231- قرمام حاج: العلاقات الحمادية المرابطية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف ، الجزائر ، 1434ه / 2013 م.

232- طاهر راغب حسين: دور القبائل العربية بالمغرب العربي منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1399 هـ/1989م، ص 230.

233- مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (422-296 هـ/909-1058 م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988، ص 158.

المجلات :

234- الحبيب الجنحاني: العلاقات السياسية و الاقتصادية بين افريقية و المغرب الأوسط في القرنين الثاني و الخامس للهجرة (الثامن و الحادي عشر للميلاد) كتاب الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الاسلامي الثاني عشر) باتنة 1978، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1982،

235- موهوبي عبد القادر ، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2011 .

236- سلفادور غوميثنوغاليس ،الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الاندلس من خلال الإباضية ، مجلة الأصالة ع: 46 ، 47 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، جوان ، جويلية ، 1977 م

237- مزهودي مسعود : تأسيس ورجلان وسدراتة من خلال الروايات التاريخية ، مجلة سدراتة ، الايام الدراسية الأولى حول سدراتة / 23 – 26 أفريل 1997 م .

238- أحمد بن ذياب المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي ، مجلة الأصالة ، العدد 7 ، ربيع الأول 1392 ه ، مارس أفريل 1972 م.

239- بوبة مجاني: أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، ع: 67-68 كانون الثاني حزيران 1999

240- الحبيب الجنحاني السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب الأصالة، ع/50/49 وزارة الشؤون الدينية ، سبتمبر،

241- محمد القاضي، مقال بعنوان البرتغال الإسلامية، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 20 السنة 2007.

242- حسين بولقطيب، الحياة الإقتصادية للحلف القبلي المصمودي في القرنيين الخامس والسادس الهجريين ، مجلة الإجتهاد العدد : 18 ، 1993 م

243- علاوة عمارة و زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط (مجلة إنسانيات، الجزائر، عدد خاص 44-45، 2009)، ص 36.

244- فوزية كرزاز: السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي (مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، السنة الرابعة، العدد 12، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2011.

245- منى حسن أحمد محمود: تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن 5 ه (مجلة المؤرخ المصري ، دراسات وبحوث تاريخية محكمة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1991م ، العدد السابع ، 302،241).

246- خالدي مسعودي: الصلات الاقتصادية و الدبلوماسية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي و أثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني و الثالث هجريين، (مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، السنة السادسة، العدد 20، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2013)، ص 84-86.

247- فاطمة بلهواري: العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي (مجلة كان التاريخية ، دورية إلكترونية محكمة ، السنة الثالثة ، العدد 10 ، دار ناشري للنشر الإلكتروني ، الكويت 2013 م (31 ،37).

248- حمزة يحيى: ذهب السودان الغربي في أوج استغلاله خلال العصر الوسيط الموطن... و العلاقة مع المغرب الأقصى (مجلة المؤرخ، جمعية ليون الافريقي، الدار البيضاء، العدد 7، 2010) ص 31.

249- عبد العزيز فيلالي: قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5ه /11 م (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 7 جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006 م (7، 22)) .

مراجع اللغة الأجنبية :

250- [1] -F.Rbarr: Geology and archology of norterncyrenaica, Libya. Amsterdam, Holland Breumelholf, 1963, P 9.

251- [1] -Camps (G): Recherchessur les relations du capsiensupérieur et de l'i'hérom au rusiendans le Constantinois, In Bulletin de la sociétéd'histoirenaturelle de l'Afrique du nord, T.46.1955.pp 88-97

252- [1] -ST.Gsell: Hérodote-textes-relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord-Alger,1915, PP 19-25

253- [1] -Behabou (M), La résistance Africaine à la romanisation, éd, Maspéro, Paris, 1975, P 48.

254- [1] -- Mercier (E), Opcit, P 91.

255- Benabou (M): La résistance …, P 65.

256- -Piganiol (A) et Laurent Vibert (R), recherchesarchéologiques à Ammaedara(Haidra), M.A.H.N°1,Vol 32.1912, PP 69-229.

257- [1]- Servier (J), Les berbères, (Que sais-je?), 1 émeédition, Dahlab, Alger, 1994, P 50.

258- [1]- Herodotus, Historia, Translated by A.D.Godley Harvard Univercity, Press, London, P 183.

259- [1]- Siliuslticus, Punica, Translated by F.E.Robins, Harvard university, press, London, V,11.55-65

260- [1]- Tacitus, The Annals, translated by Jhon Jackson, Harvard univercity, London,11.52.

261- [1]Alfred Bel, la religion musulman en berbèrie, esquisse d'histoire et de sociologie religieuse, Paris, 1938, tl, pp 159-160

262- [1]Robrt . D .et S . –j.Devisse .Tegdaoust .I.Paris.1970 . p .144